جريمة بطعم القهوة

دار نبـوغ للنشر والتوزيع

الكتاب: جريمة بطعم القهوة
المؤلف: مها صبرى
الغلاف:فريق عمل الدار
تنسيق داخلي وإخراج فني : فريق عمل الدار
الطبعة الأولى: 2021
رقم الإيداع: 2021/29865
الترقيم الدولي I.S.B.N: 978-977-6287-73-3

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: Email:
darnebogh@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر

جريمة بطعم القهوة

رواية

مـهـا صبـرى

دار نبـــوغ للنشر والتوزيع

(١)

الطقس يميل إلى البرودة، ما زالت الشمس مختبأة خلف السحاب تتوارى عن الأعين، الضباب في الطرقات وبين المارة؛ جعل حركة سير السيارات عسيرة مسببًا بعض التصادمات وكذلك بعض الحوادث، تتكئ فتاة في سن الثلاثين، ترتدي نظارةً طبية وترتشف قهوتها في عجالة، منكبةً على الأوراق التي أمامها على المكتب تحدقها فارهة الأعين، تتهدج العناوين في سرعة البرق، إلى أن يقطع استرسالها رنين الهاتف، رفعت السماعة إلي أذنها دون تفكير: الو، أيوا أنا نادية علام.

- على الطرف الآخر: بسرعة يا أستاذة نادية، تروحي العنوان اللي هديهولك ده، في سبق صحفي مهم، لازم تكوني هناك قبل زملائك.

- تهرول بين الأوراق باحثة عن قلم، وتكتب فوق هامش ورقةٍ ما، ما يمليه عليها، تنصت قليلًا ثم تبادره بسؤال: هو ليه حضرتك متصلتش بيا على موبايلي يافندم؟

- أنا فعلًا اتصلت أكتر من مرة على موبايلك، وخارج الخدمة، مفيش وقت يا نادية، مش هنبهك تاني، مش عاوز الخبر يوصل لأي جريدة قبلنا!

-تحت أمرك يا فندم حالًا، هكون هناك بس حض..

- أنهى الطرف الآخر المهاتفة وأغلق السماعة، مما جعلها يبدو عليها الحنق، تتمتم ببعض اللعنات سرًا تحدث نفسها: كالعادة قفل قبل ما يقوللي إيه نوع الواقعة، لا يكون مثلًا حادث تصادم؟ اكيد عشان الشبورة، الجو فعلًا سيء أوي.

تطل نحو النافذة وتهم بإحكام غلقها، وترتدي بالطو ثقيل يقيها من الصقيع، تتلفت بين جدران مكتبها، تزاحمها الأسئلة التي تعتلي تفكيرها، تدور بعينيها في الحجرة هل تناست شيئًا، لفت انتباهها أن الكمبيوتر ما زال مشغلٍ، فأطفأت كل شيءٍ وأغلقت باب المكتب، تنظر لساعتها جاء في بالها أن تهاتف "سامح" خطيبها وزميلها بالجريدة، وصلت إلى الشارع واستقلت سيارتها واضعة الهاتف نصب عينيها، تحاول الإتصال "بسامح" ولكن جاءها الرد: هذا الرقم غير متاح برجاء الإتصال في وقتٍ لاحق، أدارت السيارة وانطلقت كالقذيفة متوجهة إلى العنوان موضوع الحدث، أغلقت نافذة السيارة، ضغطت زر مساحات الزجاج لصعوبة الرؤية، لا ترى البنايات حولها إلا بالكاد، عاودت الإتصال بسامح عدة مرات إلى أن أصابها القلق، ولكن كانت تبدي أسباب في نفسها لتهدء من روعها ولسان حالها يقول: أكيد نسى يشحن الموبايل كالعادة، عادي يعني بتحصل كتير، مع إن سامح عمره ما نسي يشحن الموبايل! بس وإيه يعني بتحصل، وصلت أمام البناية أوقفت السيارة وترجلت منها، هناك مصطفة سيارات

الشرطة، وبعض الجيران متجمهرين، كاد شرطي يمنعها من صعود الدرج، إلا إنها أبرزت له كارنيه الجريدة والبطاقة، ودلفت إلى أن وصلت الشقة، الباب على مصراعيه، الأثاث يبدو ثمين، وكل شيءٍ مرتبًا بعنايةٍ ودقة، هناك أنتريه في غرفة الاستقبال يتوسطه منضدة كانت تحمل فنجاني قهوة، أحدهما مقلوبًا والآخر مهشمًا ومتناثرًا، وبجوار المنضدة هناك جثة لفتاة عشرينية مسجاة، تم ذبحها منتزعة العينين، وبها بعض التشوهات في الوجه، لقد تم سكب شيئًا ما ساخن على الوجه وكذلك الفخذين، ممزقة الثياب، المنظر مُقبض للنفس، وقفت نادية تدون كل ما تراه، شعرت ببعض الدوار وكادت أن تسقط، هي تعلم أنها لم تكن المرة الأولى التي ترى فيها جريمة قتل، ولكن ليست بتلك البشاعة، مع العلم أن القاتل كان جليسها، فهناك فنجاني قهوة واستضافة!

رأت نادية شيئًا جعلها ستلقي ما في أمعائها، وقفت جانبًا تُحدق بِتمعنٍ إلى أن شعرت بكفٍ تربت عليها ليجعلها ذلك تشهق! إنه، إنه..

*****

(٢)

شعرت بنفضة في قلبها جعلته يتأرجح بين أضلعها، ليصدر منها شهقة فزعٍ، وتستدير بسرعةٍ لترى من صاحب تلك اليد، ولكنها ما إن استدارت، اطمأنت محدثةٍ إياه: خضتني على فكرة، كلمتك كتير وقلقتني عليك!

- ابتسم واقترب منها يهمس في أذنها، وعيناه تتلفت في كلِ إتجاهٍ؛ ليتاكد أنه لا أحد من الحضور يتربص به: وحشتيني.

- عيناها تدور في قلقٍ تتفحص وجهه: لأ، أنا زعلانة منك، بس تعالى هنا، إنت عرفت إزاي إني أنا هنا؟!

- يبتسم سامح ويهندم ياقة قميصه، ليجيبها في نبرة غرور: يابنتي إنتي فكراني أي كلام ولا إيه؟ وما زال يضحك في سخريةٍ يستطرد حديثه وهو يخطو خطوتين نحو جثة المجني عليها: ياستي كل الحكاية إن اللي جابك هو اللي جابني، يعني رئيس التحرير بعتلي "علي" المصور على البيت، قمت مفزوع لاقيته بيرزع عالباب، وعرفت منه إنهم طلبوني كتير وموبايلي غير متاح، بس لبست وجيت جري، قلت أكيد هلاقيكي هنا!.

في حين انصاتها لما يسرده من تفاصيل، لفت انتباهها اختلاء زميلهم "علي" يقتنص بعض اللقطات للقتيلة، وكذلك مسرح الجريمة، ووقف الضابط

المكلف بالمأمورية يكلف معاونيه بالتحفظ على كل شيءٍ إلى حين وصول وكيل النيابة والموكلين من الطب الشرعي، وحين لمح بعينيه آلة التصوير، احتد متجها نحو علي:

- إذا سمحت مفيش داعي لنشر أي شيء دلوقت، الأمور كلها مبهمة لحد دلوقت.

- "علي" يحدق في الضابط وكأن يديه تيبست فجأة تحفظًا لما بدر من الأخير، بوجهه الحنق توارى "علي" واندس بين زملائه يحاكيهم همسا: إيه الحكاية، الموضوع شكله كبير!

- سامح: أنا شايف إن الظابط معاه حق، دي بنت والمنظر فعلًا بشع، ولسة مش عارفين أي تفاصيل.

- تبتسم "نادية" في اندهاش، رافعة حاجبها الأيسر: عجيبة إنك إنت اللي بتقول كده ياسي سامح! وإنت أكتر واحد يموت في الفضايح هاهاها.

كانوا يضحكون إلى أن انتبه ثلاثتهم لحضور وكيل النيابة، الذي اقترب من الجثة وجثى على ركبتيه يتفحص السائل المنسكب لإخفاء معالم الوجه، يتحسس وجهها بأنامله، ثم يرفعهم نحو أنفه يشتمهم: دي قهوة! بس تقريبًا مخلوطة بمادة قوية المفعول، أخرج وكيل النيابة كيسًا بلاستيكيًا

صغيرًا من جيبه ويحاكي معاونه قائلًا: إرفع البصمات، وهات كل شيء هنا إلى موضع الحدث، كمان إرفعلي بصمات غرف النوم وباب الشقة...

- هنا تدخل الضابط: يا باشا، المكان خالي من أي آثار للعنف! واضح إنه مش لص، ولا بهدف السرقة ولا حتى سرقة أعضاء، وإلا كان سرق باقي أعضائها.

- طب حضرتك ترجح إيه؟ يكون... ولم يكمل ولكن أومأ له الأخير برأسه موافقًا: تقريبًا كده، وانتبه لوقوف ثلاثتهم: من فضلكم إتفضلوا دلوقت، وأي معلومات بعد ما نعمل التحقيقات، وهنوافيكم بكل شيء، لكن أرجو التحفظ والكتمان على الأقل في الوقت الحالي.

- وهنا تدخل "علي" إنه شابًا طموحٌ مندفع في آرائه بعض الشيء، بعكس "سامح" الوسيم المنمق الذي يعتليه الهدوء والابتسامة لا تفارق وجهه، بادر "علي" بالتدخل، وكأنه في حالة دفاع عن مهنته: يافندم دي مش أول مرة نحضر واقعة زي دي، من فضلك...

- الضابط: من فضلك إنت وهو وهي، سيبونا نشوف شغلنا، عشان إنتم كمان تعرفوا تشوفوا شغلكم، الشارع دلوقت مشبع بالجرايم، مفيش داعي نثير الذعر بين الناس بجريمة زي دي، وكمان بدون تفاصيل.

- تدخلت "نادية" لتهدئ من حدة النقاش: أنا كمان بأيد كلام سيادتك، بكرة هنيجي مديرية الأمن نطلع على ما تم... وهنا حدقها كلًا من "سامح وعلي" يجزان على أسنانهما في غيظٍ وحنقٍ شديدين!

جاءت سيارة الطب الشرعي لتحمل الفتاة ونقلها إلي المشرحة، وكذلك اتجهت القوة جميعها إلى المديرية مصطحبين معهم بعض الجيران، وكذلك البواب لأخذ أقوالهم، ومرت ساعات كانت خلالها تتعاقب الشخصيات المحيطة بدائرة معارف الفتاة، مثولًا أمام وكيل النيابة للإدلاء بأقوالهم بكل ما يعلمونه عنها.

-فقالت صديقتها المقربة: "سالي" كانت بنت جميلة، يمكن مجنونة شوية بس طيبة مندفعة، وبتحب تتعرف بسرعة على أي حد!

- تفتكري كان في عداوة بينها وبين حد من اللي كانت تعرفهم؟

- لا خالص، عمرها ما عادت حد أبدًا.

- عاوزك تحكيلي كل شيء تعرفيه عنها.

- تمام حضرتك، هقول كل شيء أعرفه، سالي زميلتي من أيام ثانوي، خلصنا ثانوي مع بعض ودخلنا كلية الآداب سوا، كانت بتحب الشعر والمزيكا، ومهووسة بالقهوة.

- آه إيه حكاية القهوة دي بقا؟

- أبدًا، كل الحكاية إنها كانت بتحب تجرب كل أنواع البن اللي بتنزل السوق، وتدخل في تحدي معانا، وكانت بتحب تتنقل من كافيه لكافيه زي الفراشة اللي بتتنقل بين الورد.

- تخرج منديلًا من حقيبة يدها تجفف عرقها المندثر على وجنتيها، تضيق عينيها وتتلعثم فجأة في سردها مستطردة: افتكرت حاجة، آخر يوم قابلتها فيه كان قبل الحادثة بيوم، قالتلي إنها عملالي مفاجأة وإنها عرفت مكان حلو أوي للبن، وإنها شربت فيه وعجبها جدًا.

- قالتلك إيه المفاجأة وفين المكان ده؟ وراحت فيه مع مين؟

- لا ملحقتش، وأنا مسألتهاش، كان ورايا سكشن وهي مرضتش تحضر، وقالت إنها مروحة وأنا كنت مستعجلة عشان ألحق أدخل قبل ما الدكتور يقفل الباب.

- يتكئ وكيل النيابة بظهره للوراء، في وضع أكثر براحًا يشعل سيجاره، ينفث دخانه في عصبية ويتفحص ملامح الفتاة الجالسة أمامه، وكأنه يقيس كل سنتميتر من وجهها مشيرًا لها بيده الحاملة السيجار لتستكمل حديثها.

- ها يا مريم، وبعدين؟ كملي، قولي كل اللي تعرفيه حتى لو حاجة تافهة، سمعاني يامريم حتى لو حاجة تافهة.

- سالي بنت يتيمة، عايشة لوحدها ملهاش غير أخ واحد عايش ف استراليا، كان بيلح عليها عشان تسافر تعيش معاه، لكن هي رفضت.

- وليه رفضت؟

- مش عارفة، قالت إنها مرتبطة بزميلاتها هنا وإنها بتحب شقتها أوي لأن فيها ذكرياتها مع أبوها وأمها الله يرحمهم.

كان هناك على طرف المكتب يتكئ كذلك الكاتب الذي يدون تفاصيل التحقيق، أشار له وكيل النيابة بيده، أن يكتفي، وقال للشاهدة: طيب يامريم، روحي دلوقت وتعالي بكرة عشان نكمل التحقيق.

- حاضر يافندم، وهحاول أجيب لحضرتك الكارت اللي ادتهوني "سالي" الله يرحمها.

- نظر لها بتعجبٍ وإستهجان: كارت! كارت إيه؟! مجبتيش سيرته يعني؟

- والله يافندم أنا افتكرت دلوقت إنها ادتني كارت لمحل القهوة اللي راحته وعجبها، بس أنا مش عارفة حطيته فين، أول ما أروح هدور عليه.

- ضروري يامريم، مفهوم! ضروري، يحدثها بصوت التنبيه بنبرةٍ هادئة، ولكن فيها تذكير.

أثناء ذلك كانت تجلس نادية على سريرها، وبين حجرتها تهاتف خطيبها يحدثها بلهجة المزاح: بس أنا مستغربك أوي يا نادية!

- ليه بقا ياسي سامح؟

- أصلك ببساطة كده اخدتينا في إيديكي أنا والواد "علي" زي خيبتها وروحنا، وولا حس ولا خبر!

-يعني كنت عاوزني اعمل عداوة مع ظابط المباحث من أولها، وساعتها ممكن يقفلنا الجرنال ونترمي ف الشارع.

-يابنتي تترمي في الشارع وأنا موجود؟ عيب عليكي، هشغلك عندي متقلقيش، هاهاهاها.

-نعم، نعم؟ تشغلني عندك دا إيه ياسي سامح؟

-ياروحي هشغلك زوجة المستقبل، هشغلك شمعة حياتي اللي هتنور دنيتي

-توردت وجنتاها وأنفاسها تصاعدت مفعمة بالخجل: بجد ياسامح؟!

-بجد ياروح سامح، يلا بقى عشان تنامي، ورانا بكرة شغل كتير.

-حاضر، وإنت كمان يا...

-يا إيه؟ ها

-وإنت كمان ياحبيبي، هاهاها.

-مش عارف صحفيين إيه دول اللي بيتكسفوا يا أخي، هاهاهاهاها.

-تبادلا المزاح إلى أن تواعدا للقاء في الغد، وأغلقا الهاتف إلى أن خلدا كل منهما إلى النوم.

ولكن ما إن أغلقت نادية عينيها، إلا أنها رأت أحدٌ ما يهزها محاولًا إيقاظها، لتفتح عينيها فترى ما يجعلها تصرخ ويغشى عليها

*****

(٣)

ضغائن رؤى تلتهم مخيلتها، تزج بها في بئر الهاوية، تدوي بالصرخات التي تجعلها تفيق وتتلفت حولها، تتحسس مكبس الإنارة تشعله وتفحص وجهها بأناملها، صدرها يعلو ويهبط في أنين مما رأت، تحاول أن تتخلص من خوفها، فتمد يدها نحو الهاتف تتقاذف الدمعات من مقلتاها، تهملها وهي تضغط إتصال، يرن الهاتف حتى ينتهي ثم تعيد الإتصال إلى أن جاءها صوته، وبصوت النحيب تهاتفه:

-الو، أيوا يا سامح، ممكن أشوفك دلوقت؟

-يتثاءب، ويفرك عينيه ومع صوت نحيبها يعتدل! مالك يابنتي في إيه؟ الساعة كام دلوقت؟

-وينظر في أعلى الشاشة يجدها تعلن الخامسة صباحًا، يحاول أن يستفيق لينصت لها وهي تبكي وتدمج الأحرف، فلا يعي ما تقول: ممكن تهدي شوية، وتفهميني في إيه؟

-شفت الجثة جاتلي لحد عندي، وقومتني وهددتني يا سامح!

-جثة إيه اللي هتهددك؟ انتي بتخرفي يابنتي، استهدي بالله دا حلم.

-لاء، لاء يا سامح، دا كابوس مكنش حلم.

ظلا يتحدثان وهو يحاول تهدئتها وملاطفتها، وانتهى الحوار بينهما على أن يلتقيا في الجريدة، أغلقت الهاتف تحاول أن تستعيد هدوءها وتتنفس الصعداء، فقد رأت جثة الفتاة المقتولة تحثها على البحث عن القاتل، مضت الساعات في تفكيرٍ مضنٍ، إلى أن جاء موعدها لتخرج منطلقة متجهة إلى الجريدة.

على صعيدٍ آخر في مكتب التحقيقات، يتكئ وكيل النيابة يضغط زرًا بجوارهِ ليدلف إليه العسكري يخبره أن يُدخل الشاهد المدعو للإدلاء بأقواله، فيخرج العسكري داعيًا الشاهد وينصرف، يدلف إلي المكتب شابٌ فارعٌ نحيف بعض الشيء، شعره ولحيته منطلقان في حريةٍ، يتلفت حوله ويحدق في وجه وكيل النيابة، فيشير إليه الأخير بالجلوس:

-اقعد يارامي، قوللي بقا كل حاجة تعرفها عن المجني عليها.

-عادي، سالي بنت وحيدة وكانت حبوبة، وبتحب تتعرف على الناس، اتعرفنا على بعض في كافيه الكلية ومن ساعتها بقينا أصحاب.

-سمعت إنكم كنتم مرتبطين، صحيح!

-يبدو عليه الريبة ويتعرق قليلًا، يصمت وكأن إنعقد لسانه: آه كنا، بس الكلام ده من فترة حضرتك، وكل واحد راح لحاله.

-وإيه كان السبب؟

-مكنش ينفع نكمل.

-ليه؟

-يابيه من غير ليه، أنا وهي مرتحناش مع بعض.

-فضلتوا مرتبطين أد إيه يا رامي؟

-حوالي ٣ سنين.

يحدق به وكيل النيابة بنظراتِ استهجان: وهو في حد يكتشف إنه مش مرتاح في علاقة بعد الوقت دا كله؟!

-يبتلع رامي ريقه وفي عينيه تردد ليجيب: عادي يعني، هي كانت بتغير وأنا مبحبش حد يقيد حريتي، فاتفقنا نسيب بعض.

-طب والناس اللي شافوك معاها في آخر كافيه كانت بتروحه!

يعتدل رامي في جلسته، ويمد يده يرفعها نصب عينيه بحثا عن الساعة لمعرفة الوقت، يلمح وكيل النيابة شيئًا ما، فيقفز من فوق كرسيه ويتجه نحو الجالس أمامه: وريني كده، ياه، دا إيه الجرح اللي ف إيدك ده؟

هناك خربشات وخدوش جرح يبدو جديدًا في يده اليسرى، يتلعثم الشاهد ممسكًا بيده والتوتر بدا عليه: -لاء أبدًا دي قطة الجيران لاقيتها قدام الباب، فحبيت اطردها بشدها خربشتني!.

يحدق وكيل النيابة في عينيه بصمتٍ ويومئ برأسه محاولًا أن يقتنع بما يقول، فيضغط زر المكتب داعيًا العسكري أن ياخذه ليحول على الطب الشرعي لبيان سبب تلك الخدوش، وطالبًا منه أن يدعو الشاهدة مريم صديقتها للدخول، وفي أثناء خروج رامي ودخول الشاهدة، تبادلا كلاهما نظراتَ قلق وتوتر واضح للغاية، وقد رآهم وكيل النيابة؛ ليجعله عند دخول الشاهدة بادرها بالسؤال:

-إنتي كنتي تعرفيه اكيد؟

-هاه لاء، قصدي أيوا أعرفه، بس مش أصحاب!

-وليه مش أصحاب؟ إنتي بنت جميلة، وأكيد ليكي أصحاب كتير!

-أيوا بس دا كان حبيب "سالي" وأنا، أنا بس كنت بتدخل بينهم لو في مشاكل.

-وإيه نوع المشاكل بينهم؟

-هي كانت متحررة شوية، يعني ممكن تصاحب كتير وتخرج مع ولاد، ورامي مبيحبش كده.

وفي أثناء التحقيق طرق أحدهم الباب؛ ليعلو وكيل النيابة برأسه: اتفضل

دلف الضابط ومعه ملف بيده: تقرير الطب الشرعي.

-امسك الأخير بالأوراق متلهفًا عليها لتتسعا عينيه وتكادا تقتلعا من محجريهما: المجني عليها ماتت من أثر السم، القهوة كان فيها سم "الريسين".

تنتبه مريم الشاهدة لحديثه فارهة فمها، عاقدة حاجبيها في دهشةٍ، وفجأة تذكروكيل النيابة شيئًا ما: فين الكارت يا مريم؟

-امسكت حقيبتها واخرجت منها كارتًا ومنحته إياه، فجذبه منها يحدق في اسم الكافيه، ثم يسألها: تعرفي مين كان بيروح معاها الكافيه ده؟

-مش فاكرة، بس قالتلي إنه واحد معجب بيها.

يكمل فحص الأوراق، تم انتزاع الأعين بأداة حادة قد تصيب القرنية، يحدث نفسه سرًا: يعني مش ممكن يكون سارق أعضاء، يكمل قراءة التقرير، تم اغتصاب المجني عليها عقب الوفاة، وتشويه الجثة والتمثيل بها!.

-مريم إنتي أقرب حد ليها، لازم تدينا أي معلومة تعرفيها، طب ليه هي ورامي سابوا بعض؟

-الصراحة لآخر لحظة، رامي كان بيحري وراها وقبل الحادثة بيوم اتصل بيها، وقالها عاوز أقابلك ضروري.

-يعتدل في جلسته منتبهًا: هاه، وبعدين؟

-رامي هددها لو سابته، إنه، إنه...

-إنه إيه؟ اتكلمي!

ملحوظة / سم الريسين هو سم يتم استخراجه من نبات الخروع، وهو سريع القتل ويعد من أخطر الاسلحة البيولوجية المدمرة في العالم، وقد استخدم في قتل بعض الزعماء وأصحاب الثورات الروسي

(٤)

هناك وبين الأبنية الشاهقة والشوارع المزينة بالمحلات والكافيهات، يجلس بين جدران خشبية تشبه الكوخ، والأبنية العتيقة، والموسيقى الناعمة التي بمجرد سماعها تتخلل إلى روحك وتجذبك إليها، يجلس هناك في ركنه المفضل؛ يرتشف قهوته المحوجة بالحبهان الخالية من السكر، يغمض عينيه ويرتشف رشفة عميقة، ويختلي بالحلم بين جفنيه، وبسيجاره بين شفتيه كمعشوقة إنفرد بها، سرح في عالم مثالي، ينفض عن رأسه كل ماعلق من أحداث مؤلمة، قد مر بها في الأونة الأخيرة من وفاة والده، وطلاق أخته الوحيدة، وكأن القدر بعد وفاة والده قد أصابهم باللعنات، شاب في الثلاثين من عمره، يمتاز بالبأس والشبيبة والإرادة، تنخسه العراقيل دومًا ويقسم ألا يسقط، رن هاتفه ليفيق من خياله: الو، أيوا يا سامح، أنا في الكافيه، ما تيجي.

-على الطرف الآخر: يعني احنا طالع عنينا، وإنت عايش حياتك وعادي، ومتقمص دور الرومانسي!

-يسحب شهيق من سيجاره بعمقٍ: في إيه يا سامح؟ ما تيجي ونتكلم، المكان هنا هيعجبك أوي والله.

-إنت بتهزر يا علي؟ كافيه إيه في اللي احنا فيه، وجريمة قتل وبلاوي، ورئيس التحرير قالب عليك الدنيا!

-يجيب ببرود: ليه؟ عايز إيه داكمان؟

-الصور يا بني اللي انت لقطتها للقتيلة

-مالها الصور؟

-علي، إنت مبلبع إيه عالصبح؟ بقولك إيه سيب اللي ف ايدك وتعالى، وبلاش تعمل زي كل مرة، وتاخد الصور وتخلع، المرادي أكيد مش هيكتفوا بتوقيع الجزاء عليك، ولا الفصل حتى.

-يعانق آخر ما تبقى في سيجارته بلهفةٍ ونهم، ثم يخمد أنينها بين الطقطوقة الموضوعة أمامه، ويرتشف بقايا قهوته الباردة: طيب يا سامح، نص ساعة وأكون عندك، بس والنبي بطل أفورة!

ينتهي الحوار بينهما ويغلق المكالمة، ولكن سامح يساوره الشك الذي يحتفظ به لنفسه رغم إلحاح نادية أن يخبرها، ولكن يبتسم في وجهها كالعادة محاولًا تغير مجرى الحوار: وأخبار مامتك إيه يا نونتي!

-سامح، وبعدين معاك؟ قولتلك مش تناديني كده في الشغل.

-يبتلع كلماتها في حنقٍ ويتجه لمكتبه وينكب عليه ليمارس أعماله، فتأتي خلفه متساءلة: مفيش أخبار عن الحادثة؟

-أظن وكيل النيابة بعت موافقة بالمتابعة والنشر.

-تخترق كلماته ذهنها، وكأنها ارتطمت بلوحٍ في جبهتها تحدق في الفراغ: عجيبة!

في حين غادر "علي" المقهي "تحويجة" متجهًا إلى معمله الخاص بتحميض الصور، لقد وصل المعمل، فترك حقيبته جانبًا، وأعد الصور ليحدق فيها مرةٍ أخرى قبل أن يغادر، يتلو الصور واحدة تلو الأخرى، إحدى الصور بها فنجاني القهوة المنسكبة والمهشم، وأخرى بها الفتاة ممزقة الثياب والجلد المهترئ، نتيجة سكب المادة الحارقة ربما "مية نار"! ولكن هناك شيئًا غريبًا، الأكواب لا يوجد عليها أي علامات تعني الإحتساء! رغم أن الفتاة ما زال طلاء الشفاة يملؤ شفتيها، كيف ارتشفت فنجانها ولا ينطبع عليه أي علامة لشفتيها، كذلك هناك أمر هام، قد اتضح بالصور أنها آثار أقدام قد انطبعت على السجادة بلون القهوة، قدم اقترفت العمل وهربت، ولكن للعجب أن الأثر يعني أن صاحبه ذو قدمٌ كبير، وهذا يعني أنه فارع للغاية، يرن هاتفه مرةً أخرى فيحدق به، ويضغط إزاحة للمكالمة، ثم يعود الرنين عدة مرات وتوالت الرنات إلي أن مل؛ فإضطر أن

يجيب: ايوا نعم، قلت جاي، جاي، جاي، خلصنا بقى يا سامح، عشان والمصحف لو شوفتك هعملها معاك!

- يبادله سامح بضحكات سخرية: هي إيه يا زفت إنت اللي تعملها معايا، عيل سيس صحيح، بقولك إيه، أنا حبيت أقولك إن وكيل النيابة طالب الصور اللي معاك، واتصل على رئيس التحرير...

- خلاص بقى خلصنا، ..قولت هتهبب أجي.

- إهدى يخربيت عصبيتك، بقولك اسمع بس، نادية هتسبقك على هناك، لازم تحصلها، تمام!

أغلق "علي" الهاتف وهو يتأفأف من استعجالهم إياه، يشعل سيجارته ويعد حقيبته وبها الصور المطلوبة، يغلق باب المعمل ويهبط الدرج، متجهًا إلى حيث استدعوه في المديرية، ولكن هناك في صدره هواجس لايدري أسبابها، هناك شيءٌ بداخله يحاكيه أنه قد رأى تلك الفتاة من قبل، ولكن لا يعلم متى وأين! كل مايعلمه أنه يعرفها، ولكن هل حقًا أم يخيل إليه!

تتجه نادية ومعها أدواتها لتسجيل التحقيق، وطلبت الإذن للدخول واللقاء مع وكيل النيابة، بعدما منحها الإذن في الدخول، وبعد ترحيبه بها، طلبت هي

الإطلاع على تقرير الطب الشرعي، بكل ما أفاده، ولكن قبل تحديقها في الأوراق المرفقة، لفت انتباهها كارت مرفق ومثبت في أعلى الملف.

- أمسكت به تشير إلى وكيل النيابة وقامت بسؤاله: إيه الكارت ده؟

-أدهشه سؤالها، أنها تركت تلك المعلومات الهامة، ولم يلفت انتباهها سوى هذا الكارت التافه، راوده احساس انها فتاة غبية، او ربما تفكيرها محدود بعض الشيء: الكارت ده اللي جابته مريم صديقة القتيلة، وقالت دا آخر مكان كانت بتتردد عليه.

- أمسكت نادية بالكارت تتفحصه: "كافية تحويجة"

أدهشها الاسم بعض الشيء، إنه نفس الكافيه، ثم اندمجت في الأسئلة، ودارت مناقشة فيما بينهما، جاءه أحدهم بتقرير الطبيب الشرعي عما بدا في يد رامي اليسرى، إنها لم تكن خربشات قطة، أو خربشات حيوان، إنها خربشات أظافر أدمية، ولكن العجيب إنها، إنها لم تكن أظافر القتيلة!

*****

(٥)

#حدث_بالفعل

يجلس على إحدى المقاهي الشعبية يدخن النرجيلة، يشرد بذهنه في أيام مضت، غير مصدق ما يدور حوله من أحداث، ينطبع في ذاكرته مشهده الأخير بينه وبين "سالي" تلك الفتاة التي أحبته بكل صدق، ولربما أنه كان يراها فتاة من السهل التلاعب بمشاعرها، ولكنها أيقنت رغبته في النهاية، أن كل ما يربطه بها إنه معجب بجسدها الممشوق ومفاتنها الأنثوية، بجانب ارتداءها للثياب الكاجوال والبنطلونات الممزقة، والتنورات القصيرة لتجعله يفتتن بها، إلا أنها أدركت كل ذلك فألقنته درسًا لن ينساه، حيث أنه في أحد الأيام وقع بينهما شجارًا، فقررت أن كلاهما يأخذ هدنة بعيدًا عن الآخر ليدركا مدى العلاقة وبقيمانها، وما كان منه إلا أنه حاول التقرب لصديقتها مريم، بدلًا من أن يُصلح ما أفسده مع سالي، ظنًا منه أن حب مريم الصامت له سيجعلها تومئ له بالموافقة، أو تفتح له ذراعيها ليقتنص منها، وينهل منها ما يحب.

يدور شريط الذكريات يعصب عينيه وكأنه يستعيد ما حدث، فها هو يقف متواريًا في عتمة الدرج أسفل السلم في إنتظار عودة مريم، والتي كانت بصحبة صديقتها ويعلم بتفاصيل خط سيرهما، وبمجرد أن أوصلتها سالي وإبتعدت عن البناء، إلا ولحقها صوت صديقتها تستغيث: الحقيني يا سالي، يا سالي!

والذي جعل من يقطنون البناء يهرولون نحو الصوت ليجدوا هذا الدئ هاجم كوحش يفره فكه عليها، وهي تغرس أظافرها لتنال من يده اليسرى موضع الساعة، والتي كانت تحوط على عنقها بنهم المتلهف، تصل سالي لترى من خدعها منكبًا على أحضان صديقتها، يلتم الجمع ليسددون له اللكمات، مريم تبكي في انهيار فتضمها صديقتها إلى صدرها، تربت على كتفها بلطفٍ وتصعد معها إلى الشقة.

ولكن حين استشارها الجيران بعدما لقنوه العلقة، هل يصطحبونه إلى القسم لينال جزاؤه؟ قالت مريم: كفاية اللي اخده، سيبوه يغور ف داهية، أنا متاكدة بعد اللي حصله لا يمكن يكررها.

يسحب نفسا من النرجيلة، ويغمض عينيه المكسوة بعوينات سوداء عن المحيطين، يزفر رماده بقوة، وهو يحدق في يده، لم يستطع أن يجيب وكيل النيابة حين سأله من أين له بتلك الخربشات! لم يُجب ولعل الكتمان له سترًا،

ولعل ما شهده كان درسًا جعله يكره بنات حواء جمعاء، لينتهي به الأمر أن يدخن النرجيلة، ويبتلع خلفها مرارة فشله في العلاقات.

علي سبيلٍ آخر هناك في مكتب التحقيقات، كان يتكئ وكيل النيابة يتناقش مع نادية وتدون ملاحظاته على ما تضمره القضية من اشتباكات معقدة يصعُب حلها، ثم يطرق الباب ويدفعه بهدوء، يدلف إلى الداخل، يمد يده بالسلام فيحيه الأخير، ويشير له بالترحاب والجلوس.

- يبدو على عينيه الأرق، ولكن بها لمعة تتخللها: عرفت إن حضرتك بعتلي.

يومئ له بالايجاب: فعلًا يا سيد "علي"، أنا سألت رئيس التحرير، أشاد ليك جدًا وقال إنك لقطت صور مدهشة للواقعة.

- ينتبه لما يقوله الأخير فيدس يده بالحقيبة سريعًا؛ ليخرج الصور وفيلم التصوير ويمد يده للوكيل، فيتسلمهم منه.

- يفحصهم صورة تلو الأخرى منصتًا لبعض الملاحظات التي أدلى بها "علي": مثل إن القدم كبيرة الحجم، والأكواب التي بلا طلاء شفاه، رغم أن الجثة في كامل زينتها!.

إلي أن بدر في ذهن الوكيل سؤالٌ: بس إنت واضح إنك قوي الملاحظة يا سيد "علي"، ياترى دا من الصحافة ولا أنشطة أخرى؟!

- لم يعِ علي ما يقصده الوكيل، ولكنه استصاغ الحديث مجيبًا ببعض الضحكات العفوية: أنا معايا دورات تدريبية في التصوير الجنائي من مركز العلوم.

- يحدق في وجهه بفخرٍ ويهزهز رأسه: شيءٌ عظيم.

- يتصل هاتفيًا من الهاتف المكتبي الماثل أمامه، يهاتف أحدهم داعيًا إياه، وبعد قليل يُطرق الباب فيدلف مخبرٌ، تلبيةً لأمر الأخير.

- خد الكارت ده، وخد معاك اتنين من رجالتنا، خد معاك كمان الصورة دي، اسألي عليها هناك، وهاتلي الاصطف اللي كان شغال يوم الأربع اللي فات.

- يمد يده آخذًا ما منحه إياه ثم يشير له بالتحية: أوامر سيادتك يافندم، وينصرف متجهًا لما أمره به.

في حين يشير علي لزميلته نادية فتقترب منه، حيث إنه كان يهمس لها بصوتٍ شحيح: إحنا مش هنمشي بقا من المكان ده؟

- مش لما نشوف المعلومات الجديدة في التحقيق!

- يحدق في وجهها، تعتليه الدهشة ويضيق عينيه متسائلًا: آه صح، بس تحقيق إيه؟

- ترفع حاجبيها وتلقنه كالأطفال: تحقيق القتيلة يا علي.

- هاه قتيلة!

- لاحظ وكيل النيابة همسهم المتواري، مما دعاه للتساؤل: في حاجة يا أستاذة نادية؟

- تبتسم له، وتشير لعلي أن يصمت بوضع إصبعها على فمها، لينتبه ثم تدير رأسها ناحية الوكيل، حيث أن "علي" على يسارها، والوكيل أمامها يتكئ خلف مكتبه.

- لا يافندم مفيش أي حاجة، هو بس أصل علي بينسى كتير!

-فيوجه له الحديث: ألف سلامة عليك يا أستاذ علي.

- يبادله الإبتسام ولكنه لا يدري ماسببه، فيجيب في سذاجة: الله يسلمك، بس هو مين اللي عيان؟

- توكزه نادية بساعدها: يا علي، إنت نسيت تاني ولا إيه! كل ده عشان بطلت تاخد العلاج زي ماقالك الدكتور، تستطرد كلامها وهي تشخص للوكيل الذي بدا

على وجهه علامات استفهامية تتزاحم: كل الحكاية يافندم إن علي زميلنا بني آدم حساس شوية، وبعد وفاة والده جاله ضعف في الذاكرة، فكل حادث مؤثر بينساه، سواء مُؤلم أو مُفرح!

- أخذ الوكيل الصور ناهيًا حديثه مع نادية: ألف سلامة عليه، عالعموم هو مهمته انتهت، وتقدروا تنصرفوا، إحنا هنحتفظ بالصور وخلي النيجاتيف معاكم مفيش مشكلة، بس أرجو تأجلوا النشر مؤقتًا.

- بس يافندم!

- قاطعها بلهجة فيها إنذار: لو سمحتي، إمنعي النشر مؤقتًا لحين استكمال التحقيقات.

- ابتسمت نادية، ونهضت تمد كفها لإبداء السلام والإنصراف، وكذلك مثلها علي، وانصرفا واغلقا الباب خلفهما.

- في حين جلس الوكيل يراجع ملفات القضية، وفجأة اخترقت مسامعه كلمات نادية: فكل حادث مؤثر بينساه، فكل حادث مؤثر بينساه، فكل حادث...

ظلت الكلمات ترن في أذنيه، إلى أن دعا الضابط الموكل بالواقعة هاتفه: من فضلك تعالالي بوجه السرعة، أنا اكتشفت حاجة مهمة أوي في القضية!.

*****

(٦)

تتوارى الشمس عن الأعين خلف السحب، أقسمت ألا تطل اليوم، تاركة الجميع ينعيها، ومعهم من ينعي أحباؤه الراحلين، صباح يوم جديد، يرن الهاتف فيجيب ضابط المباحث:

- إن هناك جريمة قتل جديدة، تحتل بين طياتها أذناب عقرب سام، قد لاذ بها كما لاذ بمن سبقتها!

- يجيب وهو في وضع التأهب: الو، تمام أنا هجمع القوة وأتوجه حالًا حسب العنوان.

يرتدي قبعته ويخمد سلاحه الميري بين ثيابه، يتجه للخارج مصطحبًا معه قوةً من العساكر والمخبرين، تدوي سيارة الشرطة، تجوب بين الطرقات لتصل لمسارها المحدد.

تتكئ نادية شاردة خلف مكتبها بالجريدة، تتأمل النسخة المطابقة للصور التي أخذها وكيل النيابة، هناك شيء قد لفت إنتباهها، طبع الآثار لقدم يسرى فقط، أي أن هناك من أمسك بحذاء أيسر وطبع به الآثار، شهقت نادية عندما أيقنت تلك الحقيقة، ألعل القاتل إحترافي لتلك الدرجة!

- تهاتف سامح تلفونيًا، يرن عدة مراتٍ، ويجيب في النهاية: ايوا يا حبيبتي، أنا في مأمورية كام يوم بعتني رئيس التحرير أغطي مؤتمر صحفي في لبنان!

- تنصت وقد اشتعل داخلها بركان الغضب: يعني إيه يا سي سامح؟ أنا آخر من يعلم؟ أومال لو مكناش زمايل؟

- يا حبيبتي اهدي بس، الموضوع كله جه فجأة، ومش أنا اللي كنت هروح، دا "أسامة" زميلنا، بس لآخر لحظة اتصل وقال إن مراته جالها الطلق و...

- اسكتته بنبرة إنفعالية قوية: متصلتش بيا ليه تقولي؟!

- حاول الضحك متهربًا ومدعيًا أنه لم يملك الوقت والرصيد ليهاتفها!.

- طوت غضبها الجامح بين أضلعها، ودهست شغفها به منهية المكالمة، وأغلقت الهاتف ووضعته جانبًا على مكتبها، ثم مدت يدها في الدرج وأخرجت مرآة أمسكت بها وظلت تراقب نفسها بالمرآة، مرددة سؤال داخلها: ياترى أنا

حلوة ؟ ياترى سامح بيحبني فعلًا؟ ولا بيحتويني عشان مش اكتشف خيانته ليا؟ ظلت تحدق لنفسها، تغمس أصابعها في خصلات شعرها الأسود كالفحم، ناعم مسترسل، كسريان حبه في قلبها دون رجعة.

وعلى صعيدٍ آخر، هناك في الشارع المتسع لكل المحبين والشغوفين برائحة البن ومذاق الهال، وتوليفة المزاج، تراصت الطاولات يحيطها الكراسي في رونق جميل، يخيم عليها عتاقة وعبق المكان، كل شيء يعود بك للزمن الماضي، الإنارة الخافتة، صوت أم كلثوم.

"أعطني حريتي أطلق يديا... ف أنا أعطيتُ ما استبقيتُ شيئً"

يجلس اثنان ذوا أوجه مألوفة، ولكن يبدو عليهما التوتر، أنثى ورجل بصحبتها، ولكنه يشرد بعينيه بعيدًا، ينفث سيجارته، ويرتشف بعض من قهوته الماثلة بين أنامله، يأتيه صوتها ليخرج عن شروده:

- يعني وبعدين، هتفضل سرحان كده وسايبني بكلم نفسي؟

- يحيد بعينيه في اتجاه صوتها، ووجهه يحمل معالم الحنق والملل: عاوزة مني إيه تاني يا حضرة الشريفة؟

- زعلان أوي عشان قولت إنك اتهجمت عليا؟

- أنا مش عارف افكار الأبالسة دي بتخطر على بالك منين؟

- تحدق في عينيه بنظرة يعقبها ضحكات استفزازية: يعني كنت عاوزني أقول إيه بعد ما وكيل النيابة شك فيك؟

- تقوليله إيه؟ تقوليله الحقيقة يا مريم، إن إنتي اللي فرقتي بيني وبين أكتر إنسانة حبيتها!.

- يخفي وجهه بين راحتيه يواري دمعة كادت تسقط، يبدو عليه الأسى، يستطرد حديثه بصوت متحشرج: أنا، أنا مش عارف ليه بسمع كلامك! ليه ماشي وراكي لحد دلوقتي؟ بعد كل اللي عملتيه معايا؟

- عملت إيه يعني يا سي رامي، كل ده عشان حبيتك؟ أعمل إيه وأنا شايفاك هتموت نفسك على واحدة مش معبراك، واحدة حواليها من الحبايب ألف، وإنت مجرد رف...

- ينهرها بحدة ويتلفت حوله يلحظ هل من أحد يراقب انفعاله: اسكتي بقا، اسكتي، أنا بكره نفسي من ساعة ما سيبت سالي حبيبتي ومشيت وراكي، إنتي السبب في كل ده!.

- تصدق معاك حق، أنا الغلطانة، كان لازم اسيبك على عماك، واخليها تستكردك، كان لازم أقول لوكيل النيابة إن الخرابيش اللي ف ايديك دي من...

-يتلفت حوله ويهب يضع كفه على فمها ليمنعها من استكمال الحديث، تشخص له بعينين تحمل اشتياق، في حين يخفي وجهه عنها وينكس رأسه نصب الفنجان الذي ما زال يرتشفه عن آخره.

وعلى غير موعد ودون إنذار، تخطو أرجل بقوة تدلف الكافية، اثنان من رجال المباحث، أحدهما عريض وطويل القامة، والآخر متناسق الجسد ممشوق، توجه أحدهما نحو النادل، والآخر نحو الكاشير لسؤال كل منهما عن صورة مطوية بين أناملهما، إنها صورة المجني عليها "سالي".

شعر رامي برجفة، وجفاف حلقه، أشار بيده لمريم جاذبا إياها ليتأهبا للانصراف، دون لفت النظر إليهم، فلم يلحظهما أحد.

وفي أثناء ذلك، وقفت سيارتي شرطة أمام بناية مكونة من عدة طوابق شاهقة في شارع فاره ومتسع، تصطف على الجانبين سيارات أحدث طراز، يصعد ضابط المباحث والقوة التي معه الدرج في عجالة، بينما يقف أحدهم على باب العمارة، وصلوا أمام شقة في آخر طابق، الأثاث متوسط، غرفتين وريسبشن، مطبخ وحمام، وفوتيه في مقدمة الشقة، يتوسطه منضدة دائرية صغيرة تحمل

صينية بها فنجاني قهوة أحدهما فارغ عدا حبات البن العالقة والتي جفت، والآخر كما هو! بالداخل في غرفة النوم فتاة موثقة بالحبال من يديها متباعدتان، وكذلك ساقيها موثقتين في طرفي السرير متباعدتان، عدة طعنات تتخلل الصدر، خنجرٌ مغروس في الفم يهتك بالعنق، ذبح في الرقبة، تم التحفظ على الجثة بمعاونة رجال الشرطة، إلي أن وصلت النيابة، وإحالة الجثة للطب الشرعي.

ظل وكيل النيابة يدور حول الفراش المُلقى عليه المجني عليها، مشيرًا للضابط المسؤل ووجهه يعتليه الحنق والاشمئزاز: أعتقد نفس السبب!.

- اغتصاب بردو!

- تقريبًا، بس إيه حكاية القهوة في الموضوع؟

- متهيألي يا باشا، نفس الجاني!.

- يضيق بعينيه، ويدير الحديث في رأسه، متأففًا: لو الهدف الإغتصاب، ليه بيمثل بالجثث بالشكل البشع ده؟!

- إحنا هنرفع البصمات وهنعاين كل مداخل ومخارج الشقة.

- شكله بردو كان على علاقة بالمجني عليها، والدليل فناجين القهوة.

- القهوة لها علاقة بالموضوع؟

- ياحضرة الظابط، من فضلك حرزلي الفناجين دي وابعتها المعمل الجنائي، كمان عاوز أعرف البن ده مصدره أنهي كافيه وياترى هو نفس البن الأولاني؟ لو كده أنا حاسس إن الكافيه ده له يد ف الموضوع، يستطرد وكأنه تذكر شيئًا: البصمات كمان ياحضرة الظابط، قارنلي بينها وبين البصمات اللي رفعناها من شقة "سالي" المجني عليها رقم واحد، وطبعًا متنساش كل التحريات اللازمة عن القتيلة رقم "2"

يومئ له بالموافقة: أكيد سيادتك، طب وبالنسبة للقضية الأولى؟ حضرتك وصلت لحاجة؟

- يجيبه مشيرًا له بإصبعه: ايوا ايوا فكرتني، "علي" دا أنا حاسس إن في سر وراه، ابعت هاته واعمللي كل التحريات اللازمة عنه.

-تمام حضرتك.

ينصرف كلاهما وتستكمل الإجراءات، في حين أوشك النهار على الانتهاء، فنهضت "نادية" لغلق الحاسب وكذلك المكتب، وتهيأت للمغادرة،

في حين إنها متجهة للإنصراف فاصطدمت برئيس التحرير، مما دعاها لمبادرته بالسؤال:

-أستاذ مكرم، ليه حضرتك ما اخبرتنيش بخصوص المؤتمر الصحفي اللي في لبنان؟ على الأقل كنت خرجت من مودي السيء؟

-ينظر لها عاقدًا حاجبيه: مؤتمر إيه؟ ولبنان إيه؟

-يافندم المؤتمر، المأمورية اللي حضرتك أرسلت فيها الأستاذ سامح زميلي!

-مأمورية إيه يا أستاذة! أستاذ سامح أخد يومين أجازة، وقاللي إنه عنده حالة وفاة!.

انعقد لسانها، ولم تعرف بماذا تجيب، فذهبت كما تذهب الرياح باحثة لها عن مخبأٍ بين الأشجار

*****

(٧)

القمر يطل برأسه بين ثنايا السحاب، يراقب من يختبئون خلف جدران الأبنية، من يبكون وحدتهم، من ينعتون الليل بمُفرق الأحباء، ومن يتخذونه وليفًا، ليسردوا ما في جعبتهم من قصاقيص حكايا باتت ذكرى، هناك خلف بناية عتيقة في حي شعبي، يتكئ ممددًا جسده على الأريكة، أصابعه تعانق السيجارة وأنفاسه تودعها قبل مثواها الأخير بين رئتيه، يفترش جواره صندوق من الصور يتفحصهم وبين الفنية والأخرى يتخذ شهيقًا مصحوبًا بالنيكوتين، أخمد أشلاء سيجارته في الطقطوقة التي على يساره، ثم إذ بصوت أنثوي يناديه: علي، يا علي، إنت مش هتيجي تتعشى معايا؟

إلتفت إلى الصوت، إنها تحمل من ملامح وجهه بعض الشيء، يبتسم ويعقب علي ندائها: لاء يا حبيبتي، اتعشي إنتي بألف هنا.

- تقترب وتجلس على مقربةٍ منه، وتمد يدها تسحب حفنة صور: بردو مش فاكر مين اللي ف الصور دول؟

- يبتسم ويتلعثم في الحديث وهو يحدق الصور وأبطالها، وعيناه تزوغا في شرودٍ: والله يا سناء يا أختي، أنا كل اللي فاكره إني إحتمال أكون قابلتهم، أو يكونوا زمايلي مثلًا في الكلية، بس مش قادر افتكر!

- يبدو علي ملامحها القلق والحزن، تقترب لتربت على كتفه مواسية له: كل ده بسبب الحادثة اللي راح فيها بابا الله يرحمه، يمكن لو مكنتش راكب معاه في نفس اليوم، أو يمكن لو مكنش مات قدام عنيك، مكنش كل ده حصلك!

-أظلمت ملامحه وكأنه تذكر: أرجوكي، أرجوكي يا سناء بلاش تفكريني! رغم إني بقيت أنسى حاجات كتير وناس وأحداث، إلا إنه افضل ما أفتكر اليوم ده! يمكن ده السبب اللي مخليني أوقف علاج تنشيط الذاكرة اللي كتبهولي الدكتور.

-لازم تاخد العلاج يا"علي" كده ممكن يحصلك كوارث ومتفتكرش: ينهض من موضعه مزيحًا ليدها التي فوق كتفه، ويجول في الغرفة وهو ما زال يتلعثم وتسقط من عينيه دمعةٍ عن عمدٍ، صوته يتحشرج بالأسى: أنا، أنا لازم أنسى يا سناء، لازم أنسى، دا مكنش أبويا وبس! دا كان صاحبي وأخويا، وكل شيء ليا في الوجود بعد ما أمي الله يرحمها ماتت وأنا طفل، تنهمر الدمعات ويخفي وجهه بين راحتيه، يرتمي بجسده المثقل على المقعد الذي خلفه، فتأتي سناء بالقرب منه، تبتلع ريقها بصعوبة الذكريات ومر الأيام، تفتعل المزاح من أجله وتربت على كتفه مرةً أخرى:

-بقولك إيه، كفاية تراجيدي بقا، ويلا عشان نتعشى سوا، ولا هتسيبني اتعشى لوحدي يا سي "علي"؟، ولا بعدين مرضاش أعمل عشا وأقولك تعالى عشيني برة، هاهاها.

- يضحك لمزاح شقيقته، ويزيح دمعاته، ويذهبا في صحبة بعضهما البعض لتناول العشاء.

على صعيدٍ آخر، يجلس وكيل النيابة خلف مكتبه بعدما عاد لتوه من معاينة الجريمة الثانية، يشوب ملامحه الاستياء لما دونه من ملاحظات، ومن بشاعة القاتل في تنفيذه لجريمته! أمامه بعض الأوراق يقارن بينهما، إنهما ملفا القضيتان، وبينما هو شاخص بعينيه بين الأسطر وتقارير الطبيب الشرعي، يُطرق الباب فيجيبه بالدخول؛ ليدلف أحد رجال الشرطة اللذان توجها إلى الكافيه، يرفع الوكيل رأسه نحو الماثل أمامه في انتباهٍ: ايوا يا حاصول عزام، عملت إيه!

-يجيبه الأخير بعد أداءه التحية العسكرية، دابًا بقدميه ومحييًا بكفه: تمام يافندم، سألتهم سيادتك، قالولي إن اللي اسمها سالي دي جات الكافيه أربع مرات.

-ينصت له الوكيل، وكأن حميع خلايا جسده قد تحولت لأذان في جميع الاتجاهات: ها، كمل

-مرة يافندم مع رامي خطيبها، وقالولي إنه لحد دلوقت بيروح الكافيه، ويقعد على نفس الترابيزة بتاعتهم، وبيطلب نفس المشاريب حتى لو لوحده.

-بيروح لوحده؟ ولا معاه حد؟

-بيقولوا لوحده جنابك، ومرتين كانت القتيلة بتبقى قاعدة لوحدها، ويقعد وياها شخص معروف هناك أوي اسمه "علي".

-يحدق بعينيه شاردًا ثم فجأة تتسعان وكأنه تذكر أمرًا ما، يُحدث نفسه بصوتٍ كالهمس: إيه؟ معقول؟ علي المصور؟ والمرة الرابعة؟

-ما زال الصول عزام يكمل ما توصل إليه من معلومات، وعلى ملامحه تنطبع الجدية: المرة الرابعة سعادتك دخلت الكافية معاها واحد مش معروف، كان لابس نضارة سودة، والكاشير قال إنها مجتش بعدها، لأنه كان يوم الحادثة الصبح.

-ابعت هاتلي الكاشير ده، وهاتلي كمان علي المصور لما نشوف حكايته إيه دا كمان.

-أومأ في طاعةٍ للأوامر، ثم أذن له الوكيل بالانصراف، ليندس بعينيه بين الأورق، يحاكي نفسه، تقع عينيه على تقرير الطب الشرعي للقضية الثانية، فوق صورة المجني عليها جانبًا على اليمين، مكتوب عنوان التقرير العام، سبب الوفاة "سم الريسين" إثر تناوله مخلوطًا بالقهوة، ثم تهتُك بالحنجرة والبلعوم، نتيجة اخماد الخنجر.

عنوان بخر بالأسفل/ تقرير مفصل

هتك بالعنق إثر محاولة الذبح، تهتك بأعصاب اليدين والقدمين نتيجة التوثيق الحاد، أربع طعنات نافذة للصدر، وفقدان المجني عليها لعذريتها!

وهناك توقف بعينيه، قد يكون ذلك ما يربط الجريمتين، الدافع واحد، وأولى الخطوات في القتل واحدة، سم الريسين المخلوط بحبات البن، واصطياد الفتيات والتمثيل بجثثهم، ظل الوكيل يتخبط في أفكاره، لمن يوجه الاتهام! فالشكوك في رأسه ليس لها آخر، تتضارب إلي أن جاءه هاتف ليجذبه من تلك المتاهة، رفع سماعة الهاتف على أذنه، ينصت في اهتمام بملامح هادئة قد أضناها التفكير: الو، ايوا يا حضرة الظابط، لاقيتوا جثتها فين؟

-على الطرف الآخر: الجثة كانت طافية على وش النيل، وتم سحبها بالونش يافندم.

أصوات تتعالى في رأسه، تشوب تفكيره ليضغط على أسنانه، وكأنه خيلًا ينطلق في حلقة مغلقة، لا يجد له مخرجًا، شرد قليلًا ليسترقه ثانيةً الطرف الآخر على الهاتف: ننتظر معاليك؟ الو يافندم، يافندم معاليك سامعني؟!

-يسترد أنفاسه ليعود لواقعه: أيوا يا حضرة الظابط، أنا جاي حالًا.

يغلق الهاتف ويتجه في طريقه للواقعة،بعيناه الزائغتان، ثم هناك صوت يتسلل إلى نفسهِ، يتذكر عبارة نادية في آخر لقاء لها بمكتبه

-"صوت نادية": علي دايمًا بيسنى، علي دايمًا بينسى.

-"صوت علي": أنا عندي احترافية في التصوير، درست تصوير جنائي.

-"صوت رامي": مكنش ينفع نكمل، مكنش ينفع نكمل.

-"صوت مريم": كانت بتهدد رامي إنها هتفضحه.

تقف سيارته أمام تجمهر من العامة، على الجانب تقف سيارة الشرطة، وبعض القوات، يترجل من السيارة في اتجاههم وقد خلع نظارته الشمسية ليضعها في إحدى جيوب بنطاله، يُخرج قفازًا مطاطيًا ويرتديه، ونظارة طبية يقترب من موضع الجثة، ينحني بجزعه يتفقدها، ويحدق بها في حنقٍ، وقد انقبض قلبه، يشير إلى المعاون، يخبره قائلًا:

- الجثة بها آثار عنف، شكلها حاولت تهرب منه، منتفخة وبدأت تاخد اللون الارزق، معنى كده، إنه تم وقوع الحادثة ليلًا، يعني امبارح بليل، عدة طعنات ف الضهر، ابعتوها للطب الشرعي، ياحضرة الظابط، من فضلك إجمعلي كل معلومات عن المجني عليها.

-يقترب منه الضابط المكلف بالقضية وقد طأطا رأسه: مش ملاحظ حاجة يافندم؟ إحنا قدام كارثة، الجريمة التالتة على مدار 9 أيام، يعني بمعدل جريمة كل 3 أيام، الموضوع لو اتسرب للجرايد هيحصل ثورة في الصحافة، وضجة كبيرة، ويقلب علينا العامة.

-يحدقه وكيل النيابة يرفع حاجبه الأيسر في غضبٍ وهو يعاود إرتداء نظارته الشمسية: أنا هأمر بجمع كل المشتبه فيهم، وكل اللي اجتمع بالمجني عليهم يوم الحادث!

-واحنا تحت أمر النيابة، كل شيء هيكون على مكتب سعادتك بكرة الصبح.

وغادر كل منهما على أمل أن يتلقا خيط القضايا، التي تشتت في كل مكان كثعبان شرس، يبتلع من يجده، بينما تجلس نادية تضم ساقيها تحتضنهما، تعقد جبهتها عيناها متوهجة من البكاء، رن هاتفها، كان المتصل سامح خطيبها، لم تعيره اهتمام وامسكت بالهاتف تنظر للشاشة وتبكي، ثم اشاحت وجهها وتركت الهاتف جانبًا على الفراش، أعاد الاتصال عدة مراتٍ وفي كل مرة تبكي بشدة، إلى أن استسلمت وضغطت رد وعزمت على أن تسكب غضبها على مسامعه، وما إن قالت: الو، نعم ،عايز مني إيه تاني؟ أنا بكرهك، إنت بني ندم كداب، إنت...

- وقبل أن تكمل جاءها صوته متحشرج يتكلم بصعوبة، كأنه يتهجى الكلمات: نادية، أنا، أنا محتاجلك أوي، أنا، أنا في المستشفى عملت حادثة!.)

*****

(٨)

الطقس بارد، السماء مظلمة تتخبط السحب فيما بينها، تصرخ رعدًا، تضطرب القلوب وبالأخص المرهق منها، تهطل الأمطار كالدمعات المتدفقة من عيني الفقد، باحثة عمن يتلقفها بين أحضانه لتشعر بالدفء، تترجل هي على عجالة من التاكسي، ممسكةً بإيشارب تختبئ من المطر، ملابسها الخريفية لم تكن كافية لتقيها من شر البلل، أبرزت النقود لمحاسبة السائق، ثم دلفت من باب المشفى، مسرعةً تسأل عن خطيبها "سامح" الذي اخبرها منذ قليل عبر الهاتف أنه مصاب نتيجة حادث بالسيارة، أشار لها موظف الإستقبال نحو الطابق الأعلى، وأخبرها رقم الغرفة وطمأنها، فأسرعت تتخطى الدرج إلي أن وصلت لغرفته، فإذا به ممددًا، وهناك إبرة مثبتة في يمينه، يتخللها محلول معلق جانبًا، وجبهته يعتليها بعض الشاش والأربطة، انطلقت تبكي بين صدره، وتقبل رأسه وقلبها يرتعد، أما هو، فكانت ملامحه شاحبةً، شاردة بعض الشيء، حينما بكت تلمس وجنتيها بأنامله ليزيحها، ويربت على شعرها:

- متقلقيش يا نادية، هكون بخير.

- أرجوك طمني عليك، وإزاي، إزاي دا حصل؟

- طيب بس تبطلي عياط، اقعدي ارتاحي، وأنا هحكيلك كل حاجة، من الأول للآخر.

قامت وجذبت كرسيًا بالقرب من سريره المسجى عليه، تتكئ وعيناها تراقب كل أنفاسه وسكناته، تنصت له في لهفةٍ لتطمئن عليه، وأما عنه فبدأ في الاسترسال:

-كل الحكاية إن حصل عندنا حالة وفاة، خالتي "سنية" اللي إنتي قابلتيها وحبتيها، ومحبتش أقولك عشان قولت اكيد هتزعلي وتتأثري، ..وهتطلبي تيجي معايا، وأكيد لما تحضري النكد ده، حالتي النفسية هتبقى أسوأ، فالصراحة اخترعت حكاية المؤتمر الصحفي دي عشان مشغلكيش عليا يا حبيبتي! يجذب يدها التي بجواره، ويرفعها نحو ثغره يقبلها، ويحدق في عينيها بود المُتيم: عارفة يانادية، إنتي دنيا عشت حياتي بحلم بيها، ولايمكن أسمح لأي حاجة ف الدنيا تبعدك عني، ولا لأي حد ف الدنيا يشوه صورتي في عنيكي.

تنصت إليه، وإلى عينيه الشاردتين، وكأنه مخمورًا ويلقي ما في جعبته من مشاعر دفينة، وكأنه لم يكن يريد لها التحرر من صدره فهزمته، وانطلقت على لسانه، تشبثت بأنامله لتجدها باردة جدًا، فنهضت واقفة لتلمس جبهته تتفقدها، فوجدته يعاني من حمى ورأسه تتقد، انطلقت سريعًا نحو غرفة الممرضات؛ لتخبرهن عن حالته، فجاءت إحداهن لتقيس حرارته، وتقوم بالإسعافات

اللازمة، إلى أن أخد العلاج والحقن، فذهب في سباتٍ عميق، فما كان يصدر منه إلا همهمات، بعضها مفهوم والآخر هواجس نوم، منها بحبك أوي يا نادية، سيبي القهوة يا نادية، فاتن السبب أنا بكرهها، بكرهها، خديني منها يا نادية خديني!.

جحظت عينيها حين انصتت إلى تلك الهمهمة، تعقد حاجبيها مندهشة، ولكن اختلت بإحدى الممرضات تسألها، فطمأنتها إنها ربما هي أحلام، وربما نتاج الحادث الذي تعرض له، كما أخبرتها أنه تعرض لحادث نتيجة انحراف سيارته في اتجاه معاكس للطريق، مما أدى لسقوطه بالماء، من فوق جسر مارًا بقريته.

وعلى صعيدٍ آخر، يجلس علي في الكرسي المقابل لمكتب المحقق، وعلى يمينه معاون النيابة، المكتب مفترش بالصور، يتخلل بعضها صورة القتيلة الأولى "سالي" وباقي الصور غير مألوفة لوكيل النيابة، ممسكًا بالصورة الأولى يرفعها في وجه علي مبادرًا بسؤاله:

- ماهي أقوالك عن الصورة دي، اللي لاقيناها ضمن صور كتير ف بيتك وعلى سريرك؟!

- يبتلع ريقه ويحدق بالصورة، فارغًا جبهته محاولًا التذكر: أنا، أنا فاكر الوش والملامح دي، بس، بس مش فاكر فين، ولا هي مين!

- متحاولش تنكر، لأن التهمة لابساك لابساك!.

- أنا مش بنكر، أنا فعلًا مش فاكر، وتقدروا تسألوا الدكتور بتاعي اللي بزوره.

- طيب، وبالنسبة لعمال الكافيه اللي بتتردد عليه؟

- تحويجة! ماله!

- الكاشير والاصطف هناك قالوا إنهم شافوك أكتر من مرة مع القتيلة، واليوم اللي قبل الأخير قابلتها قدام المحل، ومشيتوا سوا!

- يتهجى الأحرف متلعثمًا: أنا، أنا فعلًا مش فاكر، بس الكافيه ده أحب مكان لقلبي، وبروح أقعد هناك، حتى أحيانًا كنت أعزم على زمايلي يجوا يقعدوا معايا، بس مكانوش بيرضوا، يمكن نادية اللي راحت معايا مرة، ويضيق بعينيه في الفراغ...

إيه يا علي، افتكرت حاجة؟

- هاه، بحاول افتكر اهو، معلش لو ينفع تبعت حد يجبلي الدوا ده ضروري، هيساعدني كتير، وأرسل الوكيل أحد العساكر بالروشتة لإحدى الصيدليات، وجاءه بالدواء على الفور، فابتلع علي قرصين منه مع بعض الماء، الدواء مدون عليه لعلاج ضعف الذاكرة المزمن، بعد بضع الوقت بدأ علي يستعيد نشاطه

وعيناه تتقد بالأفكار: ايوا، ايوا، أنا فاكر في يوم دخلت الكافيه وكنت قاعد على ترابيزتي الخاصة، أنا هناك لأني زبون دائم ف ليا مكان مفضل، بروح أقعد فيه، فاليوم ده كان الكافيه زحمة جدًا، وكله كابيلز، ما عدا أنا، كنت بروح أفصل عن الشغل والدنيا، وأرتاح شوية وأخد قهوتي، وأمشي، جاتني بنت حوالي ٢٢سنة واستأذنت تقعد، لأن الكافيه زحمة، وأنا طبعًا رحبت وسمحتلها بالجلوس.

-سالي!

-أومأ برأسه مؤيدًا: تقريبًا هي، قعدت وطلبنا القهوة واتعرفنا على بعض، كانت بنت لذيذة وحبوبة جدًا، وأخدنا أرقام بعض، بس أنا مكلمتهاش، هي اللي كلمتني بعد يومين، وقالتلي إنها عاوزة تقابلني، لأنها عرفت إني شغال جرافيك ومصور، في جرنال مشهور، وكانت حبة الشهرة، وأنا، أنا وعدتها هخليها مشهورة.

-قصدك تقتلها؟ وبكده تتشهروا انتوا الاتنين؟

-بدا على "علي" ملامح الحنق والغضب: قتل إيه؟ أنا طول عمري بني آدم مسالم، وعمري ما حاولت اختلط بحد!.

-وياتري ليه خايف؟ أكيد خايف من مشاعرك الشهوانية تجاه الجنس الناعم!

-لا، لا، إنت بتقول إيه؟ أنا؟ طب اسأل أختي، أو اسأل عني نادية، أو اسأل عني سامح، سامح! ايوا سامح افتكرت! سالي لما طلبت تقابلني لما كلمتني في التليفون، سامح كان معايا وصمم إنه يقابلها معايا ويتعرف عليها، وأول ما قابلها بَلفها في كلمتين، وأنا مرضتش أقول لنادية، سامح أخد رقمها وقاللي هيصاحبها!.

-ينصت له وكيل النيابة، ويرفع حاجبه الأيسر في اندهاش غير مصدق مايقول: وإيه دليلك ما يمكن بتخترعلنا حكاية والسلام!

-وأنا هنكر ليه، اسأل الكاشير!

-يخلى سبيله لحين استدعاؤه مرةً أخرى، واستدعاء كل من الطبيب المعالج له، وزملاءه، "نادية حليم" و"سامح إبراهيم" وكذلك الكاشير، واصطف الكافيه للإدلاء بأقوالهم، تتفضل تروح دلوقت يا علي، بس خليك فاكر، هنبعتلك تاني.

وقع "علي" على أقوالهِ، ورحل إلى حال سبيله، في أثناء ذلك جاء الضابط المكلف بالجريمة الأولى، طرق الباب، وأذن له الوكيل بالدخول، كان يبدو على وجهه الضجر إلى أن بادله الوكيل التحية: مالك يا حضرة الظابط، شكلك في حاجة مهمة عاوز تقولها!

-فعلا يافندم، البصمة اللي ف شقة المجني عليها طلعت لـ...

(٩)

يوم جديد يحمل بين عبائته أملًا مشرقًا، يتكئ وكيل النيابة على كرسيه، ينفث سيجاره في شرودٍ تام، عيناه تعانق الأسطر، تتفحص أوجه الضحايا المثبتة أعلى الأوراق، يود لو أنها تنطق، ولو بأدنى معلومة، ربما أراحته من صخب التساؤلات وضجيجها المشتعل في رأسه، يردد سؤال علق في ذهنه: كيف لشخصٍ أن يتواجد في مكان، وفي ذات الوقت يجدوا بصماته في مكانٍ آخر في نفس التوقيت؟! إنه يبدو لغز، ولابد من حله! كان يحدث نفسه سرًا يعتصر ذهنه إلى أن جاءه معاون المباحث المختص بملف القضية، طرق الباب، وسمح له بالدخول ليجلس في قبالتهِ يتشاوران، ثم علا برأسه، وقد تذكر شيئًا وأشار لمحدثه أن يرافقه: هات سلاحك، وتعالى معايا.

-وبوجهه الاندهاش تساءل: على فين يا باشا؟

-هنروح الكافيه، ومش عاوز القوة، إحنا هنروح بعربيتي!

-وفي اطاعة من الضابط صار في رحابه، ربما وجدوا ضالتهم، سارا بالسيارة بين زحام المارة،وضجيج السيارات، واختناق مروري عقيم، إلى أن وصلا إلي الهدف "الكافيه".

وطئ بقدميه في تقدم نحو الكاشير، وخلع نظارته الشمسية، الكاشيريعلو برأسه يحدق للماثل أمامه، يبادره بالسؤال في حنقٍ واضح: نعم يا سيدي، اؤمر!

-يتلفت بعينيه في المكان يتفحصه، ويعود لملامح الكاشير يراقبها بتمعن: أنا عاوز عينة من البن!

-وده بأمارة إيه؟ تطلع مين يافندي؟

-أبرز له كارنيه العمل، والذي يتضح فيه هويته، وأما عن الظابط؛ فاندس بين العاملين في المطحن بالداخل ليفاجئهم،: هاتلي البن اللي عندك ده! وريني كده.

يحدق فيه العاملون باندهاش ويتهامسون...

إلى أن علا صوت الكاشير: وأنا أجي معاك إزاي، وأسيب شغلي؟ وبعدين حضرتك معاك إذن نيابة؟

- أمال برأسه يهمس في أذنه، جعله يتلعثم مما قال: لو مجتش معايا بالذوق، هوجهلك تهمة الشروع في قتل، ده غير إني في إمكاني اقفلك الكافيه.

- يا بيه، يا بيه إحنا ناس نخاف ربنا، وماشين في السليم، وزباينا كلهم ناس محترمين.

- طيب إنت مجرد شاهد، إحنا هناخد منك كلمتين وهتروح علطول.

ذهب معهم الكاشير مصطحبين عينات مما يُقدم من البن لفحصه في المعمل الجنائي، في حين طلب وكيل النيابة إحضار كل من، صديقة المجني عليها الأولي وتُدعى "مريم" والطبيب الخاص بعلاج المصور الصحفي "علي" وكذلك "رامي " خطيب المجني عليها السابق.

وعلى صعيدٍ آخر، هناك وبين جدران المشفى، كانت تجلس علي طرف السرير يزين وجهها الابتسامة: حمدالله على سلامتك يا حبيبي.

- يجلس قبالتها رجل وسيم، ابتسامته مبهجة للروح، يتبادلا كلمات رقيقة: ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي، عرفتي إني من غيرك ولا حاجة؟ يسحب يدها يقبلها، ثم تقطع خلوتهم إحدى الممرضات، تقول: بصراحة إنتي يا بختك، أنا مشوفتش حد في ظرف الاستاذ سامح ورقته!

- يبادلها الابتسام: متشكر أوي يا ملايكة الرحمة، قصدي يا نيرس "تُعني ممرضة" ده بس من ذوقك.

-لا والله خالص، إنت ألطف مريض نزل عندنا، بس بقولك إيه أنا مش هتنازل عن وعدك ليا!

- حدقته نادية بنظرة غيرة في تساؤلٍ: وعد إيه ده يا سامح؟.

- يا حبيبتي أصلها نفسها تنزل صورتها في الجرنال، وأنا وعدتها، إني هعمل موضوع عن الرعاية الصحية، وعن الممرضات والأطباء، وهنزل صورتها هي وبعض زميلاتها.

- ربتت على يده التي تعانق أناملها في تودد: أنا دلوقت بس بقول أشكرك يا رب على اختياري، إني هكون مع إنسان في رقة قلبك وإنسانيتك.

- وأنا كمان يا حبيبتي، بحلم باليوم اللي يجمعنا سوا، بقولك إيه مش يلا بقا نمشي!.

- ترد الممرضة بابتسامة: بس اوعى تمشي، وتنسانا يا أستاذ سامح!

- اخرج من جيبه ورقة فئة المائة جنيه، ودسها في يد الممرضة، على أن يأتي مرة أخرى لعمل الموضوع الصحفي.

وغادرا كلاهما المشفى، عرض عليها أن يدعوها ليلًا للعشاء؛ ليحتفلا بخروجه من المشفى، فوافقت على الفور، واتفقا على موعد الثامنة مساءًا، ودعا بعضهما على أمل اللقاء في المساء.

- يسند رأسه بيمينه وعيناه تشخصان لذلك الماثل أمامه في الكرسي المقابل: سالي، البنت اللي في الصورة دي، تفتكرها؟!

- ايوا يا بيه فاكرها، دي زبونة المكان، ولما مش بتيجي تقعد، بتيجي تاخد بن وتمشي، ولها معاملة خاصة.

- يعني إيه لها معاملة خاصة؟ وإزاي؟ احكيلي بالتفصيل.

- يا بيه أنا عمري ما بتكلم مع الزباين، بس البنت دي كانت مرحة كده، وبتحب تتكلم وتهزر، وكانت تيجيلي عشان تدفع الحساب، واقولها خلي، وتقوللي أنا عاوزة المرة الجاية بن نوعه كذا، أو مثلًا تعرض عليا إنها تاخد مننا وتبيع في الكلية لزمايلها، أنا الصراحة رحبت بالفكرة، بس لما قلت لصاحب المحل، رفض!.

- ومين هو صاحب المحل؟ الأوراق بتقول إن المحل متسجل باسم واحدة اسمها "فاتن عبدالحميد"، يا بيه من يوم ما اشتغلت، وأنا مشفتش صاحب المحل غير مرة واحدة، بعد المرحومة ما ماتت.

- إزاي كده؟ إنت هتجنني يا بني؟ صاحب محل خفي؟ إيه، لابس طاقية الإخفا؟

قالها وكيل النيابة في عصبية واضحة منه، حاول أن يتماسك، فجاءته الإجابة: يا بيه، لحظة أفهم حضرتك، الست "فاتن" كانت ماسكة المحل ولما اتوفت من سنة، ابنها عمل إعلان ف الجرنال وقابلنا، بس كانت مرة واحدة، وكان لابس نظارة سودة كبيرة وكوفية، زي اللي هربان من حاجة، وبعدها كل تعاملاتنا بالفيزا، بيحول لنا فلوس على اد البضاعة، ونبعتله الفواتير على الإيميل، وبياخد فلوسه من البنك على حساب مفتوح باسم المحل، والضامن هو أكيد لأن الملكية انتقلت ليه، بس متسجلتش ف الشهر العقاري.

أخرج سيجارة من علبة قد ضاقت بها كما ضاق صدره بما ينصت له، وشعر أنه سقط في هوة عميقة ليس لها آخر، يسحب نفس من سيجارته وينفثه، ويحاول ان يرتب ما يُقال، أنهى الحوار مع الكاشير، ووقع الأخير على أقواله، وانصرف.

تلاه الطبيب، رجل في الستين من عمره، رأسه خالية من الشعر إلا القليل، يرتدي نظارة طبية، وذقنه بها شعيرات بيضاء متناثرة مثل رأسه، يجلس أمام الوكيل ليدلي بما يعرفه.

-كل اللي تعرفه عن حالة "علي" وبالتفصيل.

-"علي" جاني من حوالي سنة ونص، بيعاني من فقدان ذاكرة مؤقت بسبب حادث سيارة انقلبت بيه، وكان معاه والده واتوفى، في حين إن علي لم يصبه إلا بعض الكدمات الطفيفة، أول ما فاق لقى والده غرقان في دمه، فضل يصرخ يحاول يطلب النجدة أو الإسعاف، موبايله خارج التغطية، فضل يعاني من انهيار عصبي حاد شهر كامل تحت تأثير الصدمة، كان لازم كمية من المهدئات، لأنه كان معرض للانتحار! المهدئات أثرت بالسلب على الذاكرة، وده بجانب إن عقله رافض تمامًا موت أغلى بني آدم في حياته.

-يومئ برأسه في إنصات: ممكن يرتكب جريمة قتل؟ وينسى؟

-يضيق بحدقتي عينه، ثم يجيب: لأ.

-ليه لأ! وإيه مخليك متأكد من ده؟

-لأن علي شاب كويس، وجواه بني آدم جدًا، وحتى عقله الباطن مسالم.

-بردو إيه مخليك متأكد؟ جربت تعمله تنويم مغناطيسي؟

-هاه؟ لأ طبعًا.

-طب لو طلبت منك ده، تقدر تعمله؟

-بدا على وجهه الإنزعاج، وظل يهمهم بكلمات من الحنق والاعتراض، ثم فاجئته طرقة حادة من الوكيل على المكتب لتفزعه: هاه، موافق، موافق، اللي تشوفه حضرتك!.

-هاته، وأنا على استعداد أنيمه!

واستدعوا "علي" واختبأ الطبيب برهة، ثم ظهر ليتفاجأ علي، ظل يحدق في عينيه إلي أن غفا بعمقٍ.

في المساء وفي تمام الساعة الثامنة، تطل نادية من الشرفة في كامل زينتها، تنظر لساعتها في انتظار مرور "سامح" ليخرجا حسب الموعد المحدد، ظلت بالشرفة، أكثر من النصف ساعة قد مضى، ولم يأت

إلي أن رن هاتفها، يجيب بصوت واطي، وبرغم ذلك يتردد صداه: ايوا يا حبيبتي، أنا آسف، نأجلها لبكرة جالي زمايل كتير يزوروني لما عرفوا إني خرجت من المستشفى...

- صوتها علي الطرف الاخر يغلفه الضيق والعتاب!

- والله يا حبيبتي أنا محرج منهم، حاولت اعتذر بس مأمكنش، معلش يا روحي هعوضهالك، ليلتك سعيدة، هكلمك أول ماينزلوا.

- تنصت، ولكن لا تسمع ضوضاء زملائه، ولا حديث بجواره، ولكن هناك صدى صوت!

- إنت صوتك بيتردد كده ليه! إنت فين؟

-أنا دخلت أكلمك من الحمام عشان محدش يسمعني، ويفكروني بوزعهم! صمت، أنهى المكالمة وأغلق الهاتف.

في حين تم استجواب علي وهو تحت التأثير المغناطيسي، ثم أفاق وذهب إلى حال سبيله منذ النصف ساعة، وكذلك الطبيب والشهود، مندسًا الوكيل برأسه بين الأوراق يدون ملاحظاته، جاءه استدعاء عاجل من الشرطة، يرفع السماعة: اوام يا حسام باشا، أنا مستني سعادتك!

يذهب على الفور مقابر الصدقة، ذلك المكان العامر بمن رحلوا وتركوا كل شيء، ولكن لم يتركوا لعنتهم على فاعلي الآثام بهم، لعله يقع يومًا ما في الشرك المبين.

قوات الشرطة تحاصر المكان، والغفير ماثل أمامهم يسألونه: إنت اللي بلغت؟

-رجل بجلباب يتحدث بلهجةٍ صعيدية: ايوا يا باشا، أني جُمت أصلي العشا، ورجعت لعشتي، وأني ماشي اتلخفنت، جصدي اتكعبلت، ببص لاجيت جتة سايحة ف دمها!.

يجثو علي جزعه يقترب من وجه القتيلة، ينير بكشاف يحمله بين يديه ليتبين وجهها، وسريعًا ما يشيح بوجهه عنها، من أثر ما رأى من بشاعة في تمزيق... ولكن هناك أمرًا عجيبًا، وجهها بكامل زينته، رائع ومهندم! هناك قطع بالرقبة، والصدر ممزق بشكل وحشي، ملابسها ممزقة، تدل على الإعتداء الجسدي الذي تعرضت له!

في أثناء ذلك كانت نادية قد أنهكتها الافكار فاستسلمت للنوم، ولكن اذ بها قد غاصت في النوم، دق رنين هاتفها على غيرالعادة، الساعة تعلن الواحدة بعد منتصف الليل، تفرك عينيها اللاتي اضناهما الفكر، ترفع الهاتف على أذنها، لم تتبين صوت محدثها بعد: إنت مين يلي معندكش دم، يلي...

-قطع حديثها الناعس صوت أجش: قومي البسي بسرعة يا نادية، وخدي معاكي كاميرتك، وحالًا عاوزك تروحي على مقابر الصدقة اللي ف المنطقة...

-تبينت صوته، وقد ضاقت بحاجبيها في غضبٍ: يافندم حرام عليك، ده وقت تصحيني فيه؟ هو مفيش غيري؟

-مش اد الشغل قدمي استقالتك، وكفاية عليا غياب الأستاذ سامح خطيبك، مش عاوز تضييع وقت، مفيش غيرك انتي وهو محررين حوادث، مش عاوز ثغرة يا نادية، مفهوم؟.

-أغلقت الهاتف على مضضٍ، كانت تود أن تغلقه على عنقه؛ لتتخلص من هذا الرئيس المستبد، قامت مهرولة ترتدي ملابسها على عجالة، تغسل وجهها وصففت شعرها بدون مكياج، واضعة إيشارب قصير فوقه، ترتدي نظارتها الطبية، ومعها ريكورد للتسجيل، ومفتاح سيارتها وانطلقت بها، كما أخبرها، لم تكن قد غفت إلا بضع دقائق، كان مزاجها سيء تمامًا، كانت تود لو احتست بعض القهوة، ولكن أخبرت نفسها عند العودة ستفعل ذلك، ترجلت من السيارة، واندست بين الواقفين، وأخرجت كاميرتها لتلتقط صورة للمجني عليها، بعد أخذها للإذن من وكيل النيابة، أشاحت بيدها الملاءة من فوقها، وأخذت وضع التأهب للتصوير، أصدرت شهقة دوت في المكان، جعلت كل القوة تتوجه نحوها مشهرة السلاح في وجهها! ثم علت برأسها في وجوههم، ابتلعت ريقها، تلعثمت وأبدت اعتذارها، تحدث نفسها سرًا، المجني عليها هي...، أهل يعقل! تخاطب نفسها، تكاد تُجن، التفت إليها وكيل النيابة: إنتي بخير؟

-أومأت برأسها، نعم.

تسلل الشك إلى قلبها، ولكنها لم تنطق بحرف، شعرت بالغثيان، تريد التقيؤ، لاتعرف هل تستمر، أم ترحل، آلاف الأسئلة تدور في رأسها، إنها هي! نعم هي، كيف؟ ولماذا؟! ولكن تذكرت شيئًا ما، جعلها يبدو عليها التوتر، استأذنت من القوة بأن تذهب، وسوف تكمل التحقيقات باكرًا، تعللت بأنها مصابة بألمٍ في معدتها وعليها الذهاب على الفور، حينما عادت، كادت رأسها تنفجر من التفكير، لا تعرف إلى أي مسار تتجه، أخبرت نفسها أنها بحاجة إلى الهدوء والتركيز، لذلك توجهت إلى المطبخ لتصنع لها كوبًا من القهوة، أحضرت البن والسكر، ووضعت كميتها المعتادة بالكنكة، وصنعت لها فنجانًا، جلست على الأريكة تحتسيه وفجأة...

الطقس بارد، ولكن ليس وحده من يشعرك بالبرودة، فهناك قلوب ترغمك على ذلك، الأمطار تهطل كتلك التي تهطل من عينيها غير مستوعبة ما هي فيه، قدماها لا تقوى على حملها، كانت تتعكز على وميض شجاعة قد تبخرت، إلى أن وصلت ردهة شقتها، ألقت بنفسها على الكرسي وانهمرت في البكاء، تدور في عقلها طواحين الأفكار والأحداث، لاتصدق، دلفت إلى الشقة، استرخت على الأريكة، تشعر بالصداع يؤلم رأسها بحدة، نهضت لتعد لها كوبًا من القهوة، ولكن فجأة شعرت بألمٍ حاد، تكاد أمعاؤها أن تتمزق، جاهدت لتتصل بالإسعاف، وفجأة خط الاتصال انقطع...

على صعيدٍ آخر، هناك في مكتب التحقيقات، كانت تجلس "مريم" صديقة المجني عليها الأولى، المدعوة "سالي" يحدثها وكيل النيابة وعيناه تلتقطان كل ردة فعل لها: إيه أقوالك فيما هو منسوب إليكِ؟

- يا باشا أنا قلت كل حاجة في التحقيق.

- إيه وداكي شقة القتيلة يوم الحادث؟

- بدا علي ملامحها التوتر والارتياب والتعلثم، في حين يرقبها الماثل أمامها: أنا، أنا مرحتش لسالي، أنا معرفش حاجة!.

- يبتسم ابتسامة ماكرة، ويشخص لبؤبؤ عينيها: مريم، رامي اعترف بكل حاجة، وقال إنك إنتي اللي قتلتيها!

- ترتعد في كرسيها وتصرخ ملوحة بيديها، نافية: لا مقتلتهاش، مقتلتهاش، والله ما قتلتها، أنا، أنا بس...

- ايوا إنتي بس إيه؟

-تبكي، وتخفي وجهها بين كفيها: مريم، الجريمة لابساكي لابساكي، وبصماتك على كل مكان في الشقة، وبصمتك الوحيدة اللي موجودة!

- يا بيه، أنا لا يمكن أقتل، أنا دخلت لاقيتها سايحة في دمها، أنا رنيت جرس الباب، محدش رد، سمعت صوت حد بيئن، زقيت الباب لاقيته مفتوح! دخلت لاقيتها مقتولة، وبتطلع في الروح، دخلت على أوضتها، كنت عارفة مكان صندوق الصيغة، قلت أنا أولى بيه.

- تسيبي صاحبتك غرقانة في دمها، وتسرقيها؟!

-طول عمرها احسن مني، أخدت مني رامي، مع إني أنا حبيته أكتر منها، كان شايفني جنبها زي خدامتها، كان لازم اثبتله إني أحسن منها، مش عشان أغنى مني، صممت أخد حقي!.

- ورامي!

- رامي، كلمته أقوله سالي اتقتلت، جالي تحت بيتها كان طالع، وأنا كنت خلصت ونازلة، حاول يزقني ويطلع يشوفها، شديته بكل قوتي، عورته في إيده جرحته!

- يعني إنتي اللي ضوافرك معلمة في ايديه؟!

- تومئ والدمعات تنسكب منها سكبًا دون انقطاع، وصرخت: أنا من حقي أعيش، هي ماتت، بس كانت عايشة حياتها بالطول والعرض، كل اللي كان بيشوفني جنبها، كان بيفكرني اللبيسة بتاعتها! كنت بحقد عليها، عندها فلوس

وعايشة بحريتها، وبتختار بين اللي بيحبوها، ورغم كل ده مكانتش سعيدة، كان نفسي اصرخ في وشها، وأقولها: كل ده مش مكفيكي!

- بتعترفي إنك سرقتيها، أومال مين اللي قتلها يامريم؟ انكارك مش هيفيدك

- والله ما قتلتها، والله ما قتلتها!

- ضغط زر بجوار يمينه: يا عسكري، اسحبها على زنزانة الاحتياطي، يحدث المجاور له: اقفل المحضر في ساعته وتاريخه، امضي يا مريم على أقوالك، إنتي مقبوض عليكي بتهمة سرقة سالي، وتهمة الشروع في قتل.

- تصرخ، وتصرخ: أنا سرقت يا بيه، قتل لأ، والله قتل لأ يا بيه، أبوس إيدك، تجثو على ركبيتها راكعة، تجذب يده لتقبلها لعله يصدقها.

- يصيح وهو يطرق بقوة يده على المكتب: خدها يا عسكري.

وفي حين يتكئ وكيل النيابة على كرسيه ينفث دخان سيجارته، يطوف برأسه العديد من التساؤلات، يطرق الباب، يستأذن في الدخول، فيسمح له، إنه معاون المباحث.

يجلس أمامه في حزنٍ، ويبدو على وجهه الكآبة، يعتليه الألم، ولكن يفاجأ وكيل النيابة بتلك الحالة التي هو عليها، فيبادره بالسؤال: في إيه يا حضرة الضابط ؟ مالك شكلك حزين كده ليه؟

- من عشر دقايق، جات إشارة إن الصحفية "نادية علام"...

- ضم حاجبيه في دهشةٍ وانتباه: مالها نادية؟

- الإسعاف نقلتها في حالة خطيرة!

- هب واقفًا من الدهشة: إيه؟ إنت بتقول إيه؟ يلا بينا اوام، تعالى معايا.

- أعتقد إن الوقت ده، أولى بيه أهلها وخطيبها.

- مفيش حاجة اسمها أولى، أكيد عندها معلومات ولو معلومة بسيطة، لازم أعرف إيه سبب نقلها المستشفى، مش يمكن هاجمها القاتل!.

توجها كل من وكيل النيابة مصطحبًا معه معاون المباحث، قد وصلا أمام غرفة العناية المركزة المسجاة بها الإعلامية نادية علام، ولكن ما قد رأوه فاق توقعاتهما، هناك وقف سامح يراقب المريضة، ثم دلف إلى غرفتها ولم ينتبه أنه لم يغلق الباب خلفه، يتحسس الخطى، يقترب نحوها ببطئ، ثم اقترب بالأكثر، جثى على ركبتيه جوار الفراش النائمة عليه، جذب الأسلاك المعلقة بيديها

ينتزعها وهو في حالة عجيبة، عيناه زائغتان يبكي، جذب كفها يقبله: نادية، مينفعش تموتي، نادية، إنتي الوحيدة اللي مش هسيبك تموتي، أنا بحبك، همَ مش زيك، همَ كانوا بيغروني يا نادية! هما زي فاتن، لكن إنتي لأ، أنا حبيتك بجد، أنا آسف يا نادية، أما جبتلك البن اتبدل مع أكياس من إياهم، مكنش قصدي إنتي يا نادية، ناديييييييية، ردي عليا.

يخفي وجهه في ملابسها، يبكي بشدة، فجأة توقفت الأجهزة، يصرخ وقد لحقا به الضابط ومعه الوكيل، وعلا صوته؛ ليجذب القائمين في المشفى، يجذباه بعيدًا، وأما عنه، ما زال يصيح ويصرخ، وهو ينظرإليهما: نادية مش هتموت، مش هتموت، مش هسمحلك تموتي يا نادية، أنا عايش عشانك، إنتي بس اللي تستحقي الحياة، يا نادية، إنتي بس، كلهم لازم يموتوا، وفاتن لازم تموت، سحباه وتوجها به إلى أمن الدولة للتحقيق معه.

وأما عن نادية، فقد لفظت أنفاسها الأخيرة، إثر جرعة الريسين المخلوط بها البن الذي احتسته في فنجانها الأخير! وظل سامح يعاني من انهيار، ولكن بدا يستعيد هدوءه، حيث تم استدعاء طبيب الشرطة لحقنه بمهدئ، تم استدعاء سامح من قبل النيابة للإدلاء بأقواله، جلس في هدوءٍ، تعتليه ابتسامة هادئة كما كان، وكما اعتاد دومًا أن يبدو.

يشخص له وكيل النيابة وهو يشير إلى الكاتب: من فضلك، دون كل حرف هيقوله، احكيلي بقى يا سامح كل حاجة من الأول خالص.

-من أول مين؟ سالي، ولا نادية؟

-قبل كده كمان يا سامح، مين فاتن؟ والبن؟ وليه القهوة؟

-ضحك ضحكة عالية، ضحكة هيستيرية غير متوقعة، جعلت كلًا منهما ينتبهان له، إنه ربما هناك شيئًا في قواه العقلية، ولكن أشار له ليتحدث، ومنحه سيجارة فأخذها منه الأخير، وابتسم وأشعلها، وشرد بعينيه بعيدًا، سحب نفسًا عميقًا وزفره بقوةٍ، ما زال يبتسم: زمان كنت فاكر إن فاتن تبقى أختي، اسمي كان زي اسمها، فجأة في يوم سحبتني من إيدي، وقالتلي: سامح، هقولك سر خبيته عنك كتير، كان عمري وقتها عشر سنين، يادوب بعرف أفهم وأعرف أزعل، قالتلي سامح إنت مش أخويا، إنت ابني! إنت نتيجة غلطة مع ظابط عرفته، وبعدها الحرب قامت ومات في الحرب قبل ما يتجوزني رسمي، ومكانش قدام عيلتي غير إنهم ينقذوني من الفضيحة، يتذكر ويبدو على وجهه العبوس، يحدق في الفراغ ويسترجع الذكريات، صمت برهة، فحدقه وكيل النيابة، وأشار له مخاطبًا يحثه على استكمال الحديث

- بعدها مكنتش مصدق، فضلت فترة منهار مش طايق أبص في وشها، إزاي تغلط مع حد فاتكتب على اسم جدي عشان يداروا الفضيحة! بعدها أخدتني وسافرت برة مصر، واتعرفت على واحد مليونير واتجوزته، مكانش بيخلف، واتفقت تكتبني على اسمه وتطلع ليا شهادة ميلاد جديدة، وفي أثناء حديثه كان معاون المباحث قد تذكر شيئًا ما، فقذفه بسؤال على غير هدى: علي؟

- علي ملوش دعوة بأي حاجة، أنا اللي كنت ببدل العلاج بتاعه، ببرشام هلوسة، وأنا اللي سرقت البوم الصور وبدلته بناس ميعرفهاش، كل الصور دي تركيب حتى سالي، هي فعلًا اتعرفت علينا، وكنا سوا في الكافيه بس هو نسى!

- وإزاي قدرت توصل لصورتها؟

- ضحك الأخير ضحكة عالية: سالي زيها زي بنات كتير، كانت بتحب الشخص الجذاب، مسحورة بيا وبلباقتي وابتسامتي، أول ما عرفت إني صحفي، اتقربت مني وطلبت انشر صورتها واعمل عنها موضوع صحفي، ساعتها طلبت منها العنوان بحجة الموضوع الصحفي، الصور كلها عملتلها تركيب مع صورة علي، وزودت جرعة برشام الهلوسة، لدرجة إن علي بقى علي يقين إنه بيعاني من زهايمر حاد هاهاها، وفي غضون حديثه واعترافه، كانت النيابة أمرت بتفتيش منزله ومكتبه بالجريدة، وهناك كانت الصاعقة!

(١١)

ما زالت الأجواء يسودها التوتر والقلق، وأنين يصم الأذان، إنه أنين أسر وأهالي القتيلات الراحلات بلا ذنب، وبلا مبرر، وبلا سابق إنذار، الصحف والجرائد باتت تنعي فقيدتهم نادية علام، تلك الصحفية النشطة الخلوقة، في حين هناك آخرين يعتلون منشتات الصحف يتصدر فيها الصفحة الأولى، كشف لغز القاتل المتسلسل، وصورة زميلهم سامح تتصدى في المقدمة .

هناك يجلس ثلاثتهم وكيل النيابة ومعاون المباحث، ماثلًا بين أيديهم شخصية لم ترد عليهم من قبل، حقًا إنه مختلف، شاب وسيم عمره لم يتجاوز الثلاثين، يحاكيهم بلباقة منفردة، تود لو تنصت له طيلة الوقت وكأنه يسرد لك إحدى المغامرات أو المسلسلات المشوقة، يتراجع الوكيل في كرسيه يجلس شغوف لسماع باقي أقوال المتهم "سامح" من عُرف عنه الكلام المعسول والابتسامة الجذابة لكل من يقابله، وأما عن سامح فكان يبتسم ولا يبالي يما يدور، طلب كوب من العصير، ثم يليه فنجان قهوة وسيجارة، وأما عن ضابط المباحث فكان يجلس مشدوها لموقف هذا الأخير من برودة اعصابه! وفي حين يستكملون التحقيق، طرق الباب أحدهم، فما كان من الوكيل إلا أن سمح له

بالدخول، كان أحد رجال الشرطة مع بعض الأحراز التي تم العثور عليها في درج مكتبه الخاص، والذي لم يتطرق له أحد، فكان يحمل بين طياته مفاجأة

أشار الوكيل لمن دلف للتو بأن يمنحه ما يحمل، إنه عبارة عن ظرف كبير، نهض وكيل.النيابة واقفًا مادًا يده لأخذ الظرف، وقام بفتحه، وعيني الضابط تتابع جيدًا وكأن ما سيجده في الظرف سيفر هاربًا!

-إيه اللي جوا الظرف ده؟ إيه ده، إيه المجلات دي؟

-يحدق بعينيه في اندهاش، إنها مجلات أجنبية مُعنونة تحمل الطابع السادي، تشتمل في اوراقها على قصص إباحية، يتخللها سادية بشعة، من قتل وتمزيق الضحايا، صور خنق، صور حرق، صور تعذيب بشعة! لم يحتمل الوكيل معاينة جميع اوراقها، واشاح بوجهه بعيدًا، ولكن توجه بالسؤال إلى سامح الجالس امامه، يحتسي العصير في لامبالاة: إيه ده يا سامح؟ إنت بتحب القصص اللي زي دي! إيه الدافع إنك تشوف قصص من النوع ده؟

- أنا هحكي لحضرتك، كل الحكاية إن بعد ما فاتن اتجوزت، أنا كنت بشوفها بتهتم بجوزها الجديد دايمًا، عمرها ماحاولت تقرب مني، ولا تعرف بحب إيه وبكره إيه، مكنش ليا أصحاب، مكنتش بحس براحة في أي كلام بيني وبين حد، صحيح البنات كانت بتحاول تقرب مني، لكن كان جوايا إحساس غريب، عاوز

أقرب منهم بدافع الرغبة، وفي نفس الوقت جوايا نفسي أشوفهم بيتعذبوا، أول مرة أشوف مجلة زي دي، كنت رايح اشتري كتب للجامعة ومراجع، لاقيت واحد فارش في الشارع بيبيع النوع ده، شدني شكلها، قربت على المجلة وسحبتها في إيدي وقعدت أقلب فيها، حسيت بفرحة كأني لاقيت كنز، يشخصان له كلاهما، والكاتب يدون كل تفاصيله في هدوءٍ تام، وما زال يسترسل في السرد: كنت بخبيها تحت سريري، أخاف لا حد يشوفها، وبالليل بعد ما يناموا أقعد أتفرج عليها، كان منظر الضحايا بيسعدني، بس مش دايمًا يعني، سعادة مؤقتة، وبرجع أحس بصراع جوايا شديد! لحد ما فاتن اترملت، وورثت عن جوزها حاجات كتير وعمارات، ومنها الكافيه، في الوقت ده كنت اتخرجت، وبدأت أشتغل صحفي تحت التمرين، وأعمل مواضيع صغيرة وجذابة، كنت نشيط جدًا وكان نشاطي ده مبهور بيه رؤسائي، لحد ما يوم وقع تحت إيدي موضوع غريب بعنوان "ومن الطبيعة ما قتل" العنوان شدني أوي، فضلت أبحث عن كل اللي ممكن يكون له فوايد ف الطبيعة، لكن على اد ما ممكن يفيد، ممكن يقتل، لحد ما اكتشفت الريسين، المادة اللي موجودة في الخروع، وعرفت إنه أشد سمية من أقوى سم للكوبرا!

-يشير له المعاون: احكيلنا إزاي قتلت ضحاياك

- بدا على وجه سامح علامات التعجب، ثم بدأ يبتسم ليزيد في الابتسام، ليضحك ضحكات عالية، يحدقه المحققون في تعجب!

- بتضحك على إيه؟

- أنا مقتلتش حد، أنا بريء، هاهاهاها.

- وحالة انهيارك اللي كانت قدام نادية؟ لما عرفت اللي حصلها بسببك؟

- لأ لحد كده، مسمحلكش ياسيادة المحقق، أنا صحفي محترم، وبالتأكيد انهياري لفقداني أعز إنسانة في حياتي!

- وسالي، والممرضة وغيرهم وغيرهم، مين اللي قتلهم؟ مش إنت؟ إنت اعترفت بتلفيقك صور مفبركة لزميلك علي، وده أكبر دليل إنك عاوز تضلل العدالة، وتلزق بيه التهمة.

- يشخص في وجه محدثه، ثم ينهض من موضعه، ويزرع الغرفة مجيئًا وذهابًا، ويتحدث بكل هدوء: المتهم بريء ياسيادة المحقق إلى أن تثبت إدانته.

- أمرنا نحن، بتحويل المتهم للكشف على قواه العقلية، والأمر بالحبس على ذمة القضية، لحين المحاكمة وجمع المعلومات والأقوال، لكل من زملاء المتهم، وأهل خطيبته المتوفاة، والعاملين بالكافيه.

استدعى العسكري لياخذ المتهم إلى الحبس الإحتياطي، لحين مجيء موعد المحاكمة، وعلى صعيدٍ آخر، علي يتجهم وجهه يكفهر، تنحدر الدمعات من عينيه، يحدق في صورةٍ ممسكًا بها، إنها صورة نادية زميلته التي كان يكن لها مشاعر خفية جياشة، لا يعلم عنها أحد، يقترب بالصورة إلى شفتيه يقبلها، ويحدث نفسه: مش ممكن أسيب تارك يا نادية، يا أرق بني آدمة شوفتها في حياتي، لا يمكن أسيب الكلب ده يخرج من السجن، صحيح لسه ممسكوش أي دليل إدانة قوي ضده، لكن أنا مش هسكت، أوعدك يا حبيبتي مش هسكت، وتنهمر شلالات الدموع من عينيه، يطيح بكفيه الدمعات المتناثرة، ويعقد العزم على أن يساند المحققين في كشف جميع خيوط إدانته، توجه إلى مكتب التحقيقات، طالبًا منهم إعادة تفتيش منزله، وإنه سيقوم بتصوير كل متعلقاته، وما شابه إلى ذلك، بجانب أنه أخذ موافقة كتابية من أهالي الضحايا بإعادة فتح قبورهم، والتفتيش بداخلها، ربما وجدوا أدنى معلومة تصل بهم إلى بر الأمان.

وهناك توجهت قوة بمصاحبة علي إلى إعادة تفتيش منزل المتهم، وهناك وجدوا بعض الجلود المزين بها غرفته، والتي عندما تم عرضها على المعمل الجنائي، تبين أنها جلد آدمي من الضحايا، وبعض الأدوات المخبئة في سرداب سري قد توصلوا إليه، ما يشبه بغرفة سرية خلف خزانة الملابس، لم يكتشفها البوليس من سابق، ولكن لفتت انتباه علي أنه حين اصطدم بالصدفة في أحد

أبواب الخزانة، تزحزحت الخزانة تجاه الحائط بشكل مريب، والذي تبين أن هناك سرداب صغير مغطي بورق الحائط، وجدوا بعض أصابع المجني عليهن، وبعض الأثداء المقطعة، وكذلك بيانات وبطاقات شخصية تخص المجني عليهن، وهنا كان الدليل القاطع.

وبعد مرور عدة أيام، كانت تكتظ قاعة المحكمة بالفتيات المولعات بسامح، دنجوان الجريدة الذي كانت تتهافت عليه الفتيات في عمر العشرين إلي حد الثلاثين، كذلك أهالي وأولياء أمور الضحايا وأقاربهن، وزملاء وصحفيين ومصورين، يملؤون قاعة المحكمة، وبين ضوضاء الجميع، طرق الحاجب؛ لتبدأ الجلسة، فما كان من سامح، إلا أن طلب الدفاع عن نفسه، فلم يكن هناك من انتدب للدفاع عنه.

- النيابة: تبين لنا من خلال التسجيل الصوتي وكاميرا المراقبة، التي ثبتت في غرفة العناية المركزة التي كانت مرفق بها المجني عليها نادية علام، صوت المتهم وهو تحت تأثير الصدمة لوفاتها، واعترافه كذلك يا سيادة القاضي، هناك الادلة المادية والعينية، التي تم تحريزها من مكتب وشقة المتهم، وكذلك عينات الريسين المضبوطة في شقته، وكميات البن التي تم خلطها، واستخدامها في قتل الضحايا، لذلك نطالب عدالتكم بتوقيع أقصى العقوبة على المتهم، وهي الإعدام شنقًا.

- المحكمة: وضح للمحكمة يا سامح سبب خلطك للبن تحديدًا، واستخدامك الكافيه في اصطياد ضحاياك من الفتيات تحت وفوق العشرين.

- الكافيه ملكي من الباطن، حبيت استفيد من حاجة أملكها، والحاجة الوحيدة اللي ورثتها عن فاتن أمي المالكة الأصلية للكافيه، السم كان بيسهل عليا التفرغ للإعتداء عليهن، كان ممتع جدًا اشوفهم بيتعذبوا!

- أحب أسأل النيابة، إيه تقرير توقيع الكشف الطبي عليه؟

يتقدم وكيل النيابة من أحد القضاة، والجالس بالمنتصف ورافعًا يده بها بعض الأوراق، التقرير بيقول يافندم إن قواه العقلية سليمة جدًا، وإنه ارتكب الجرائم وهو في كامل قواه!

يطرق القاضي، ثم يرتدي نظارته الطبية متوجهًا بوجهه ناحية ذلك الماثل في القفص: بعد الاستماع لشهادة الشهود، والتسجيل الصوتي للمتهم، والأوراق المقدمة من الطبيب الشرعي، والأدلة المرفقة، حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم "سامح السيد حسين" بالإعدام شنقًا، رُفعت الجلسة.

تصفيق حاد بين الحضور من إعلامين وأهالي الضحايا، وبين تلك الضوضاء والصخب المعلن، يدلف إلى قاعة المحكمة، إحدى الفتيات، تخطو بقدميها نحو قفص المتهم، وتحمل في يدها الكاميرا، ترفعها تجاه وجهه، الفتاة تتشح بوشاح يخفي ملامحها، ثم تقترب من القفص لتكشف عن هويتها، إنها "نادية علام"!

- مش لوحدك اللي قاتل شاطر يا سامح، كمان أنا صحفية شاطرة هاهاهاها.

حدق في وجهها، يصرخ ويعتلي وجهه الفزع غير مصدق: إزاي؟ إنتي مُتِّي قدامي وقطعتي النفس، الجرايد كلها كتبت تعازي، إزاي مش ممكن! وليه عملتي كده؟!

- من زمان وأنا بشك فيك، فاكر مؤتمر لبنان اللي قلت مسافر تغطيه، كلمت رئيس التحرير وقتها، قال: إنك في أجازة، وميعرفش عنك حاجة، وآخرهم موضوع الممرضة، الأجهزة في العناية كلها كانت أجهزة تصوير، والكاميرات سجلت رد فعلك صوت وصورة، الشرطة مكانوش يعرفوا حاجة عشان الموضوع يبان بشكل طبيعي، لحد ما أنا فُقت! أما نفسي، إنت ناسي إني بطلة سباحة، وإنب أقدر أمنع عملية التنفس، هاهاها، مبروك عليك الإعدام، تنتبه لأحدٍ هناك يقترب منها بمجرد أن سمع صوتها، والدمعات تتقاذف من عينيه: حمدالله على سلامتك يا نادية، أنا مش مصدق إنك عايشة، أنا حاسس إني بتوهم زي ما كنت طول عمري بتوهم إني...

- إنك إيه يا علي؟ قول يا علي؟

- ايوا بحبك يا نادية، بحبك.

- أنا دلوقت بس أسعد إنسانة في الدنيا، إن ربنا نجاني وعوضني بيك يا علي!

- يعني تقبلي تتجوزيني؟

- طبعًا يا علي أقبل.

- فمضى كل من "نادية" يطوق ذراعها زوجها المستقبلي "علي" واما عن "سامح" فقد نال جزاءه بالإعدام شنقًا، وكانت تلك الحادثة حديث الساعة، وصار الجميع في فرحةٍ عارمة لإنتهاء تلك السلسلة من القضايا.

*****

تمت بحمد الله